عسكريين الواحد في اذرح والآخر في اللجون يحميهما بضعة آلاف من الجند مع قلعة (Castellum) مربعة طولها ٦٧ مترًا طولًا في مثلها عرضها جعلوا فيها ٥٠٠ جندي. وقد بقي اسم القلعة اللاتيني في اللغة العربية الى اليوم يُدعى مكانها القَسْطل

ثم رأى الرومان ان هذه الاستحكامات تحتاج الى تضييق وتوثيق فزادوها عددًا. وكان عدد هذه التحصينات اوفر والمسافة بينها اقرب شرقيّ بحر لوط ولاسيما عند وادي مجب (Arnon) فبلغوا عدد حصونهم هناك الى احد عشر في مسافة لا تزيد على ١٥ ميلًا رومانيًا ثم تجدها اقلّ عددًا وابعد مسافة بين مدينتي بترا (سلع) وعقبة. اما سبب هذا الاختلاف فقد دلّ عليه العلّامة برونوف بقوله انّ غزاة البادية لا يغيرون عادةً الّا على الجهات القريبة من المياه وليس على طريق بصرى الى عقبة مياه كافية لاهل البادية الّا عند نواحي وادي مجب. ثم انّهُ من المرجّح انّ اشدّ قبائل البدو حدّةً وحماساً كانت تسكن في جوار بحر لوط. وقد رأينا حديثاً هذه القبائل تتحامل على الامير عبدالله الذي اقامهُ الانكليز على بلاد ما وراء الاردنّ. فاضطرّوا الى إمداده بالجند ولا تزال الامور هناك في حيص بيص. ولعلّ الانكليز يقيمون لحراستها متارس وتحصينات (Blockhaus) كما فعلوا في جنوبيّ افريقية لردّ غارات البوير اذ لم يجدوا وسيلةً للدفاع عن املاكهم هناك

والظاهر انّ الرومان قد فضّلوا هذه التحصينات على تشييد الاسوار لسببين: الاول اقتصاديّ والثاني حربيّ. فالوجه الاقتصاديّ كان سببهُ قلّة ما تحتاج تلك الحصون من الجنود اذ مية فقط يكفي للدفاع عنها مئة جندي بل اقلّ تحت نظارة قائد مئة (١). واذا دهمها خطر لقلّة عددها كانت في ايام الفتن تُفرغ المراكز البعيدة وينضمّ جنودها الى المواقع العسكريّة. اما ايام السلم فكان عددهم كافياً لردّ كيد اهل الحيم

اما المقام الثاني الذي عُني الرومان بتحصينه فكان اشدّ خطورةً من اقليم عربيّة نزيد به ثغر الفرات حيث قُضي على رومية ان تقاتل عدوًّا لجوجاً متعنتاً ذا بأس وحنكة في الآداب الحربيّة اعني بهم الفرثيين ثم الفرس الساسانيين فما مرّ على الرومان عشر سنين منذ فتوحهم لسوريّة حتّى اضطرّوا الى مقاتلة اولئك الفرسان ذوي

(١) اطلب تاريخ الرومان لمرمسن Mommsen: *Roem. Gesch.*, V. pp. 142, n° 1 et 143

السرعة الغريبة في كرّهم وفرّهم المحسنين لرشق السهام الصيبة حتى في رجوعهم القهقرى كما روى الشاعر هوراس :

Sagittas et celerem fugam
Parthi *Hor. II*, 13,17-18

وقد اختبر كاسيوس احد ارباب الدولة الثلاثية شدَّة ساعد الفرثيين لمَّا توغَّل في بلاد ما بين النهرين ففاجأهُ العدوّ عند حرّان وفقد الاعلام الرومانيَّة وقُتل عند رجوعه . ثمَّ زحف الفرثيون في السنة التابعة وهي السنة ٥١ قبل المسيح وتقدَّموا الى انطاكية فادرك الرومان اضطرارهم الى تحصين الفرات في وجههم

ولم يحصّنوا ذلك الثغر بسور متواصل وخنادق وانما اكتفوا بضبط معابر النهر وتجهيز خطٍّ مضاعف من المراكز العسكريَّة . وليس لدينا دليل على كونهم اقاموا عند حدود الفرس حصوناً متواصلة كما فعل ديوكلطيانوس شرقيّ الطريق الرومانيَّة في اقليم عربيَّة . وقد جاء في كتابة متأخرة ذكر بروج كانت بين السنتين ٤٢٠ و٤٢٥ قائمةً على حدود فارس من مسافة عشرة اميال الى ٢٠ ميلًا . والمرجَّح انَّ الكلام هناك عن الطريق بين تدمر ومدينة سورة على الفرات . أمَّا شواطئ النهر فلم يروا حاجة الى تحصينها وليس ذلك لأنَّ الفرات بذاته كان يمكنهُ ان يُعتبر كحدود وافية بالمرام سواء كان لاتّساع ضفافه التي حملت بعض الكتبة الى تشبيهه بنيل مصر ام لارتفاع شواطيه . لا بل ليس كالفرات طريق عسكري افضل يساعد الشعوب الفاتحة على اقتحام البلاد فهو كسلك لاحب يفصل بلاد ما بين النهرين عن بوادي العرب فيمكن للمحاربين ان يجهّزوا لقطعه قوارب خفيفة ينقلون عليها جنودهم واثقالهم (١

ولا شكّ انَّ الرومان استخدموا الفرات لغاياتهم الحربيَّة . وليس لدينا دليل على كونهم عمَّروا لذلك اسطولًا (Classis Euphratensis) كما زعم مركارت (Marquardt) ولكنَّهم اتَّخذوا السفن النقَّالة والقوارب فجعلوا عليها البحَّارة والجند (٢ وبدلًا من تشييد الحصون والاسوار وحفر الخنادق ثبَّتوا قدمهم وتحصَّنوا عند معابر النهر كما فعل قبلهم الفرثيون والسلوقيُّون . وكان السلوقيُّون ابتنوا مدينة زوغما (Zeugma) ومعناها المَوْصل اي الموصل بين سوريَّة وما بين النهرين وقد اثبت العلَّامة فرنتس كومون (M. F. Cumont) انَّها بلقيس الحالية على الفرات . واحتلّ

١) اطلب الكتاب السابق Chapot, pp. 255 ٢) id. pp. 145 sqq.

الرومان هذه المدينة كما نزلوا ايضاً في اوقات مختلفة في اورويوس وسودة وفيتيفوريوم وزينوبية وقرقيسية وكلّها حصون على الفرات

وكان لا بُدَّ من توثيق هذه الحصون باستحكامات امامية فالرومان اتّخذوا لذلك مراكز عسكريّة محصّنة جعلوا فيها كتائب الجند . ولمّا اتّسعت فتوحاتهم شرقاً في ما بين النهرين كذلك قدّموا خطوطهم الدفاعيّة وتحصيناتهم الى الشرق حتّى ان الجبهة الدفاعيّة بلغت في بدء تلك الامبراطرة الى ملطية في ارمينية شمالي مرعش والى اورشليم جنوباً بعد فتحها على يد طيطس . وقد تُنبئ الآثار على مواقع عسكريّة اخرى ثانويّة بينهما في كورس واللاذقيّة وانطاكية ورفنية جنوبي مصياد مفتاح بلاد النصيريين الشرقي . وكان عدد الجنود المحتلين في هذه المراكز كلها لا يزيد عن ٤٨،٠٠٠ من الرومان يؤلفون ثمانية طوابير هذا ما خلا الفرق الوطنيّة (١

ثم تقدّم الرومان الى الامام ففتحوا سيساط عند الفرات الاعلى وبصرى جنوبي حوران . ثمّ قام سبتيميوس ساويرس فتوغّل في ما بين النهرين وعزّز مُدنها بالتِرَق المعروفة بالبرثيّة تأميناً لطرق نهر دجلة كسنجار ورأس العين وحرّان ودارا والرُّها . وشفع هذا الخطّ بخطّ رَجعي في البادية من الرصافة بين الفرات ودمشق ومن كورس بين انطاكية وسيساط ومن افامية على العاصي حيث تجتمع الدروب التي تربط جهات الجنوب بانطاكية

السوريون في خدمة الرومان

وكأني بالقارئ يسألنا هنا أترى بقيت سوريّة بازاء الرومان على جمودها دون ان يساعدهم اهلها على حماية وطنهم؟ كلّا عرفت سوريّة فضل الدولة الرومانيّة وقدّمت لها بسخاء جنوداً من مواطنيها ساعدوها على تأمين البلاد وبسط رواق السلام على اهلها . وكانت الفرق العسكريّة الوطنيّة المتطوّعة كثيرة العدد . يُستدلّ عليها بالارقام العسكريّة النظاميّة مع ذكر محلّ الاكتتاب . فنجد بينها اسماء مدن انطاكية وافامية ودمشق والسامرة وعسقلان وصور وعلى التخوم بعلبك . ثمّ نعرف ايضاً من رواية المؤرخين انّ المتطوّعين من امارة كوماجين ألفوا ستّ فرق من الرجّالة

(١ اطلب Chapot, l. c., pp. 74-75

واهل كلسيس خمساً والايتوريين ثماني واهل حمص في جبل الشيخ فرقتين والنبط ست فرق. وكان للسوريين امتياز في فرق الفرسان والمدرّعين والمهاريين ولاسيّما القوّاسين الراكبين. ومما تثبتهُ الآثار انّ الكتائب السوريّة المتطوعة خدمت الرومان في عدّة ولايات اجنبية فمنها فرقة كانت تحرس سور ادريانوس في بريطانية ومنها ما أقيم لحراسة نهري الرين والدانوب وبعضها بلغ الى ثغور مراكش. نعم انّ هذه الفرق لم تحصَ في جملة كتاة الحروب الّا انّها ادّت خدماً مشكورة

ولا نعلم أخرج من السوريين قوّاد في الجيوش الرومانيّة لكنّنا نعرف انّ احد كبار المهندسين العسكريين المدعو ابولودور كان سوريّاً من دمشق وهو الذي ابتنى على نهر الدانوب ذاك الجسر العظيم الذي سهّل للجيش الروماني الانتصار على قبائل الداس

وفي الختام لا يسعني الّا عقد الامل على شهامة السوريين حالاً ومعرفتهم الجميل لفرنسة. ويحسنني حسن الظنّ بهم على انّ الدولة المنتدبة ستجد بينهم نفوساً ابيّة تتطوّع لخدمة وطنهم كما فعل اجدادهم في خدمة الدولة الرومانيّة

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٥٦ ﴿ابو البركات﴾ الشيخ الرئيس شيخ الرئاسة ابن الشيخ الاسعد المعروف بابن كبر القبطي اليعقوبي كاتب السلطان بيبرس الداوداري والمتوفى سنة ١٣٦٣ م. لهُ: ١° كتاب جلاء العقول في علم الاصول الملقّب بكشف الاسرار الخفيّة في اسباب المسيحيّة يتضمّن ١٨ فصلاً في المعتقدات النصرانيّة كوحدانيّة الله وتثليث اقانيمه وتجسّد ابنهِ الالهي على رأي اليعاقبة الخ. منهُ نسخة مكتوبة سنة ٧٦٣٥(١٣٦٣م) محفوظة في المكتبة الفاتيكانيّة نُقلت عنها نسخة مكتبتنا الشرقية. وهناك نسختان أخريان من عهد المؤلف كُتبت الواحدة (عدد ١١٨) في دمشق سنة ٧٦٢٣(١٣٢٣م)

والاخرى (عدد ١١٩) سنة ١٣٣٤ = ٢ كتاب مصباح الظلمة وايضاح الخدمة في الفقه الكنسي في ثمانية ابواب وعدّة فصول عن العقائد النصرانيّة واخبار الرسل والتلاميذ (اطلب Oriens Christianus,II; 322-344) وقوانين البيعة والجامع. منهُ نسخة في المكتبة الاثيكانيّة تاريخها سنة ١٣٣٣م. وفي مكتبة برلين نسخة موصوفة وصفاً واسعاً (Ahlwardt,X, 184) وفي مكتبة باريس (Ms. ar. 203).

٣ لهُ ردود على اليهود والمسلمين. في مخطوطة رومية (عدد ١١٩). ٤ رسالة البيان الاظهر في الردّ على من يقول بالقضاء والقدر. فيها. وهذه التآليف الثلثة منقولة في مكتبتنا الشرقية. ٥ لهُ عدّة مواعظ تقرأ في اعياد الكنيسة القبطيّة طُبعت في المطبعة القبطيّة في مصر. ٦ معجم اللغة القبطيّة المعروف بالسلّم الكبير المقترح (اطلب مجموعة المكتب الشرقي P. A. Mallon, MFO, II, 260-263)

٥٧ ﴿ابو البركات﴾ الشيخ موهوب بن منصور بن مفرج الاسكندراني الشمّاس كان في القرن الثاني عشر (اطلب تاريخ الشيخ ابي صلح الارمني ص ١٣٦. ed. Evetts) هو متمّم تاريخ بطاركة الاسكندريّة الاقباط لساويرس بن المقفّع من سيرة الانبا اخرسطادولوس البطريرك السادس والستين (٩٦١م) وما بعدهُ الى آخر سيرة مرقس بن زرعة البطريرك الثالث والسبعين (سنة ١١٩٠ م)

٥٨ ﴿ابو بشر﴾ متّى بن يونس او يونان من دير قنّى الفيلسوف والطبيب النسطوري معلّم الفارابيّ والمتوفّى سنة ٩٤٠ م (اطلب الفهرست لابن النديم ص ٢٦٣ وطبقات الاطبا لابن ابي أصيبعة ١: ٢٣٥) احد كبار النَّقلة الكتب ارسطاطاليس المتقدّمين. ومما نجا لهُ من آفات الزمان: ١ في مكتبة باريس كتاب ضخم يرقى الى القرن الثاني عشر فيهِ مجموع مقالات لارسطاطاليس منقولة الى العربيّة بكل دقّة واتقان. طُبع منها مقالة الشعر في لندن سنة ١٨٨٧ (ed. Margoliouth). ٢ مناظرة جرت بين متى بن يونس القنّائي الفيلسوف وبين ابي سعيد السيرافي. طُبعت في المجلّة الاسيويّة الملكيّة الانكليزيّة (JRAS, 1905. pp, 79-129) مع ترجمتها الى الانكليزيّة بقلم الاستاذ مرغوليوث

٥٩ ﴿ابو الحسن بن المسيحي﴾ وقيل ابو نصر صاعد بن هبة الله بن المؤمل النصراني الحظيري المتطبب خدم الخليفة الناصر وتوفي بعدهُ نحو السنة ٦٢٧ ه ١٢٣٠م

(اطلب تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي ص٢١٤ وطبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة ١ : ٣٠٣ ومختصر تاريخ الدول لابن العبري ٤١٦) . لهُ كتاب في الطبّ صغير الحجم سمّاهُ الصفوة في اجزاء الطبّ علميًا وعمليًا منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة المرحوم يوسف ميشال ابيلا في صيداء وفي مكتبة القس بولس سباط الحلبي (ROC., XVII, n° 16)

٦٠ ﴿ابو الخير بن المسيحي﴾ الاركيذياقون اخو ابي الحسن المذكور آنفاً وهما اخوا الجاثليق المعروف بابن المسيحي . وكان ابو الخير متطبباً ايضاً مات نحو السنة ٥٩٠هـ (١١٩٥م) . لهُ في الطبّ كتاب الاقتضاب في الطبّ وقد اختصرهُ وسماهُ انتخاب الاقتضاب . منهُ نسخة في مكتبة مونيخ (Ms. 836) وفي مكتبة اوكسفرد البوذليّة ١ : ٦٢٢ و ٢ : ١٩٥) وفي مكتبة بغداد العموميّة وفي مكتبتنا الشرقيّة وهو على طريقة السؤال والجواب

٦١ ﴿ابو الخير بن الطيّب﴾ القس الرشيد المتطبب اليعقوبيّ كان في القرن الحادي عشر . لهُ كتاب في اصول الدين دعاهُ درياق العقول في علم الاصول قسمهُ الى جملتين تحتوي الجملة الاولى ٢٤ فصلاً في المعتقدات النصرانيّة والثانية خمسة فصول في الفرائض . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة الواحدة قديمة من القرن السادس عشر والاخرى حديثة منقولة عن نسخة دير مار يوحنّا الصابغ في الشوير سنة ١٨٩٧ (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٧٥٦) ومن الكتاب ثلث نسخ في مكتبة باريس (عدد ١٧٨—١٨٠) يقال في الاولى انّ المؤلف انتهى من تأليفها في حمص سنة ١٣٦٤ للیونان (١٠٥٢م) ونسختان في اوكسفرد (Marsh. 649 et Hunt. 362) . وقد ذكرهُ ابو البركات بن كبر في لائحة كتبهِ (Riedel, p. 661) وسمّاه ابا الخير المتطبّب ونسب اليهِ ما خلا الكتاب في اصول الدين مواعظ لم نقف عليها

٦٢ ﴿ابو رائطة التكريتي﴾ حبيب بن حُديثة (ويروى خدمة) اسقف تكريت اليعقوبيّ كان في القرن التاسع للميلاد . لهُ ١ مقالة في الثالوث الاقدس في مجموعة من مجاميع باريس (Paris, Ms, 169, n° 13) يليها اربع مقالات أُخر في تجسُّد المسيح ووحدة طبيعتهِ على رأي اليعاقبة والتقديس المثلث على رأي بطرس القصّار (n°s 14-17) ٢ . ولهُ في مكتبة باريس ايضاً (Ms. 82) جدال بين ابي يحيى النسطوري

والبي رائطة اليعقوبي والبي قرّة الملكي . ٣ وقد نشرنا لهُ نبذةً في الاستدلال على الدين المستقيم في كتابنا مقالات دينيّة قديمة لبعض مشاهير النصارى (ص ١٤٦)

٦٣ ﴿ابو سليمان المنطقي﴾ هو ابو سليمان بن طاهر المنطقي كان في القرن العاشر ذكرهُ ابن العسّال في كتاب الاصول في الباب الخامس عشر منهُ (ص ٢٧٨ من نسختنا) نبذةً من كتابه « في مبادئ الموجودات ومراتب قوّاتها والاوصاف التي توصف بها الذات الاولى وعلى اي وجهٍ وصفتها النصارى بالتوحيد والكثرة والجوهريّة والاقنوميّة» منهُ نسخة في باريس (Ms. 173,n° 10). وقد ورد ايضاً ذكرهُ في تاريخ مختصر الدول لابن العبري (ص ٥٠٠—٥٠٦) حيث ذُكرت لهُ محاضرةٌ مع المدعوّ بغلام زُحل

٦٤ ﴿ابو سهل الجرجاني﴾ هو عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني الطبيب شيخ الرئيس ابن سينا ومعلّمهُ صناعة الطبّ المتوفّى سنة ٣٩٠ هـ ١٠٠٠ م (اطلب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ١ : ٣٢٧-٣٢٨). لهُ : ١ً كتاب ديوان الطبّ في مجلّدين ضخمين منهُ نسخة في بيت الحكيم جدّ في حلب تاريخها سنة ٦٨٦ هـ (١٢٨٧ م) ويدعى ايضاً الكتب المائة في الصناعة الطبّيّة يُعرف منهُ عدّة نُسخ في مكاتب اوربّة (Brockelmann, I. 238) . و٢ً في مكتب برلين (Ms. 6207) كتاب الطبّ الكلّي . ٣ً وكتاب اصول علم النبض في ليدن (٢٧٨٣) . ٤ً في مكتبة غوتا (Ms. 1988) كتاب حكمة الله تعالى في خلق الانسان ٥ً ولهُ عدّة مقالات فلسفيّة (Jong. 113) سمّاها اصناف العلوم الحكميّة واركان العلوم ومبادئ الموجودات الطبيعيّة وتلخيص كتاب ارسطو في السماء والعالم. وقد نشرنا لهُ في كتاب المقالات الدينيّة لقدماء كتبة النصارى فصلاً في أقسام الدين (ص ١٣٢)

٦٥ ﴿ابو الصلح الارمني﴾ ويقال ابو الصالح الشيخ. كان في القرن الثاني عشر للمسيح اسهُ في مكتبة باريس (Ms. 307) تاريخ يعرف باسمه «تاريخ الشيخ ابي صلح الارمني وصف فيه اخبار نصارى مصر في زمانهِ مع وصف اديرتهم وبيعهم وغير ذلك من الامور المفيدة». طُبع الكتاب في اوكسفرد سنة ١٨٩٥ بهمّة المستشرق افتس (B.T.A. Evetts) مع ترجمتهِ الى الانكليزية وتعليق حواشٍ وفهارس واسعة

٦٦ ﴿ابو عليّ بن يُمن﴾ هو القسّ المتطبّب من اهل القرن الثاني عشر من

طائفة الملكيَّة ورد ذكرهُ في فهرست ابي البركات بن كبر (Riedel, p. 65) وذكر لهُ مقالة في ماهيَّة اعتقاد النصارى . ولعلَّها هي المذكورة في احد مخطوطات المكتبة الڤاتيكانيَّة (Ms. 135)

٦٧ ﴿ ابو الفرج بن الطيب ﴾ القس عبد الله البغداديّ النسطوري كاتب طيماثاوس الجاثليق احد كبار الفلاسفة ومفسّري ارسطو وجالينوس المتوفى سنة ١٠٤٣ م (اطلب ترجمتهُ في تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي ص ٢١٣ وفي طبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة ١ : ٢٣٩ وفي تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ٣٣٠ والمكتبة الشرقيَّة للسمعاني ٣ : ٥٤٧) كان ممتازًا في المعارف الدينية وفي علوم الاوائل وترجمة كتب اليونان وشرحها . الَّف كتبًا عديدة لا يُعرف منها اليوم الَّا الكتب الآتية : ١ً مجموع مقالات مهمَّة في مكتبة الاسكوريال في اسبانية (Escur. Ms, 88) في الولادة والنبات والعطور والشعر والعطش على طريقة جالينوس وبقراط ٢ً تفسير كتاب جالينوس لحيلة البُرء في مكتبة لَيدن (Leid. 1298) ٣ً تدبير الصحَّة شرح كتاب جالينوس . فيها (1299) ثمَّ في مكتبة باريس (Ms. 2858) . وفي المكتبة الديشيَّة منهُ ثلث نسخ . ٤ً تفسير مقالات ارسطو . في المكتبة الخديويَّة (٦ : ٨٩) . ولهُ عدَّة كتب لاهوتيَّة ودينيَّة وكتابيَّة منها : ١ً كتاب فردوس البيعة . وفيهِ شروح على العهدين القديم والجديد . جزءان في مكتبة الڤاتيكان (Vat. ar. 36 et 37) ٢ً مقدَّمة على المزامير في ١١ باباً . في مكتبة باريس (Ms. 41) ولندن (Ms. 793) ٣ً تفسير المزامير . في المتحف البريطاني (Ms. 793) وفي الڤاتيكان (Vat, IV, 76) نسخة من القرن الرابع عشر . ٤ً تفسير تسابيح موسى واشعيا في نسخة المتحف البريطاني السابقة . ٥ً مقدَّمة على الانجيل . في مكتبة ليدن في هولندة (ar. 2375) ٦ً تفسير الاربعة الاناجيل . منهُ نسخة كاملة في لندن (Brit. Mus., Suppl. 15) وفي مكتبة الوارنة في رومية مع شرح اقسام منها في باريس (Mss. 85 et 86) . وقد عُني بطبع هذا التفسير يوسف منقريوس القبطي في مصر سنة ١٩٠٨ مهذَّباً لعبارتهِ مع تصحيحهِ وتذييلهِ بالحواشي . وقد لحظنا انهُ صحَّح ما لم يجب تصحيحهُ . ٧ً لهُ في الڤاتيكان (١١٥) مقالات لاهوتية في التوحيد والتثليث والاقنوم والطبيعة في ١٤ باباً . ٨ً وكتاب في التوحيد . في باريس (Ms. 173) .

٩ كتاب فقه النصرانيّة الجامع للقوانين البيعيّة والمجامع الشرقيّة والغربيّة . منهُ نسخة في المكتبة الڤاتيكانيّة (ar. 153) وفي المكتبة الديشيّة اللورنسية (Ms. 57).

١٠ وابو الفرج هو كما يظهر معرّب الانجيل المنسوب الى طاطيانوس المدعوّ بديا طاسارون الذي نُشر بالطبع في رومية (سنة ١٨٨٩) ومنهُ قطعة في مكتبتنا وصفناها سابقاً في المشرق (٤[١٩٠١]: ١٠٠—١٠٢). وقد اتّسع في تعريفها الكاهن الالمانيّ س. اورنفر (Bibl. Studien, XVII.1-71). ولابي الفرج بن الطيب مقالة ينكر فيها على مريم العذراء كونها ام الله على رأيهِ النسطوري وقد ردّ عليهِ يحيى بن عدي في مكتبة الشرفة نسخة من هذا الردّ الحسن. وقد نشرنا لهُ مقالة في شريعة العدل وفي شريعة الفضل رواها ابن العسال في كتاب اصول الدين

٦٨ ﴿ ابو قرّة ﴾ تاودورس اسقف حرّان الملكيّ (٧٤٠—٨٢٠). ١ اول ما نشر لهُ في المشرق (سنة ١٩٠٣ ص ٦٣٣) حضرة الخوري قسطنطين الباشا ميمرهُ البديع في تحقيق ناموس موسى والانجيل الطاهر وتحقيق الارثوذكسيّة وابطال كلّ ملّة تنتحل النصرانيّة سواها. ثم طبعهُ على حدة واضاف اليهِ ترجمة افرنسيّة. ٢ ثمّ نشر في بيروت ميامرهُ في عدد تسعة نقلًا عن نسخة خطيّة في مكتبة دير المخلّص وقد سعى حضرة الكاهن الدكتور جورج غراف (D^r G. Graf) في نقل هذه الميامر الى الالمانية مع مقدّمات وشروح وزيادات (Paderborn, 1910, pp. 336). ٣ ولابي قرّة في التحف البريطاني (Or. 4940) نسخة خطيّة قديمة راقية الى القرن التاسع (٨٧٧م) تحتوي على بعض مقالاتهِ نشر منها سنة ١٨٩٧ العالم الالماني جان ارندزن (Arendzen) مقالة في عبادة الصور مع ترجمتها الى اللاتينيّة وحضرة الاب لويس معلوف في المقالات الدينيّة القديمة خطبته في تأنس الله الكلمة (المشرق ٦ [١٩٠٣]: ١٠١١—١٠٢٣). ٤ وقد نشرنا لهُ ايضاً في المشرق ١٥[١٩١٢]: ٧٥٧ و٨٢٥ ميمرًا جليلًا في وجود الخالق والدين القويم عن نسخة في دير الشير. ٥ ويُروى لابي قرّة مجادلات لاثبات الدين النصراني مع شيوخ مسلمين بحضور الخليفة المأمون في مكتبة باريس (Mss, 70^4, 71^3, 198^3, 251^5) وفي مكتبة الڤاتيكان (Vat. 136). ولابي قرّة جدال مع عبد يشوع النسطوري وابي رائطة اليعقوبي. في مكتبة باريس (Ms. 215^4). ولهُ ايضاً في مخطوطات مكتبتنا ميامر في التوبة وغيرها لم تطبع بعد

٦٩ ﴿ابو نوح﴾ عبد المسيح الانباري كان كاتباً للجاثليق النسطوري طيموثاوس الكبير في القرن التاسع . لهُ في قائمة ابي بركات بن كبر مجائل واجوبة في معنى الاعتقاد وقد ذكر لهُ عبد يشوع الصوباوي تاليف سريانيَّة (Bibl. Or. III¹, 212) منها تفنيد للقرآن

٧٠ ﴿ابوجي﴾ الاب لويس اليسوعيّ توفّي في ١٦ تموز ١٨٩٦ . لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة تعليم العصمة البابويَّة على طريقة السؤال والجواب تاريخهُ سنة ١٨٨١ وقصائد لعيد القديس لويس غونزاغا . وقد طُبع لهُ في مطبعتنا الكاثوليكيَّة عشرة كتب دينيَّة وجدليَّة وتاريخيَّة ولغويَّة وجغرافيَّة . ولهُ مقالات تاريخيَّة ورسائل عديدة عن الشرق بالافرنسيَّة منها مطبوعة ومنها مخطوطة

٧١ ﴿ابيفانيوس﴾ اسقف قبرس القديس المتوفّى سنة ٤١٢ م . يوجد باسمهِ في العربيَّة دون ذكر اسم المعرّب : ١ً كتابهُ الاكسامیرون (Ἑξαήμερος) في شرح ستَّة أيام الخليقة . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة في الكتابين الموسومين بالعددين ٤٢ و٤٣ من القرن السابع عشر وقد ذكرهُ ابو البركات في قائمتهِ (Riedel, 648) . ٢ً ولهُ في عدَّة مجاميع من مكتبتي باريس والڤاتيكان وفي مكتبتنا الشرقيَّة وغيرها ميامر شتَّى في احد الشعانين وفي دفن جسد الربّ وفي العذراء مريم . وذكر لهُ ابو البركات كتاب الهوجل (قال انها بمعنى المرسى (Ἀγκυρωτός)

٧٢ ﴿اثناسيوس الاسكندريّ﴾ القديس الرسولي بطريرك الاسكندريَّة المتوفّى سنة (٣٧٣م) : ١ً يُنسب لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة (ع ٣٨) كتاب البرهان في تحقيق الايمان في اخصّ المعتقدات النصرانيَّة لوحدانيَّتهِ تعالى وتثليث اقانيمهِ . وقد بيَّنا في المشرق (٧[١٩٠٤] : ٤٨٨) انّ الكتاب نفيس وانَّما نسبتهُ الى القديس اثناسيوس ليست بصحيحة . ومثلهُ مقالات ثلث تتبع هذا الكتاب الاوَّل في تجسُّد ابن الله ولاهوته وتفنيد اراجيف اليهود . تاريخ هذه النسخة سنة ١٦٨١م. (Cfr. Or. Chr. 1914, p. 104) ٢ً كتاب الردّ على اليهود في المكتبة الڤاتيكانيَّة (Ms 100 et 645⁴) . ومن هذا الردّ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة في آخر كتاب الغصن الوريف في معنى القدّاس الشريف (ص ١٠٠—١١٢) . ٣ً وفي مكتبة الثلثة الاقمار (ع ٣٣١) عظات وميامر للجليل في القديسين اثناسيوس بطريرك الاسكندريَّة . ٤ً وكذلك

لهُ بعض الخطب في جاميع ميامر للاعياد السنويَّة في مكتبتنا الشرقيَّة وغيرها سبق لنا وصفها . ومِمَّا ذكرهُ ابو البركات للقديس اثناسيوس الاسكندري ولم نجدهُ حاضرًا كتابٌ في شرح المزامير ثم ٤٥ مسألة واجوبة بينهُ وبين انتيوخس العجمي في معنى التوحيد والتثليث والامانة . ورسالة الى قسطنطينوس الملك لما رُدَّ من المنفى الى كرسيه . ثم مقالتان في الإنباء بما يكون والتحريض على الثبوت في الايمان

٧٣ ﴿اثناسيوس الانطاكي﴾ هو البطريرك اثناسيوس الرابع دبَّاس الدمشقي المتردِّد بين الكثلكة والانشقاق توفي في حلب سنة ١٧٢٩ . نُعرف لهُ التآليف الآتية : ١ً مجموع مواعظ لآحاد واعياد السنة . منهُ نسخة في مكتبة انتشار الايمان في رومية . وفي مكتبة الكلدان في ماردين (ع ١٠٠) تاريخها سنة ١٧١٩ . ٢ً كتاب شرح القداس دعاهُ منهاج اللاهوت في خدام الكهنوت . منهُ نسخة في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب . ٣ً كتاب التعليم المسيحي . ٤ً اخرج من اليونانيَّة الى العربيَّة خمسة كتب في صناعة الفصاحة منهُ نسخة في مكتبة الثلثة الاقمار في بيروت تاريخها سنة ١٨٣٣ ونسختان في مكتبتنا الشرقيَّة تاريخ احداهما سنة ١٨١٣ ٥ً تاريخ المجامع عرَّبهُ عن اليونانيَّة واللاتينيَّة . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة ونسخة في مكتبة الموارنة في حلب تاريخها سنة ١٧١٧ وفي مكتبة دير الشرفة . ٦ً تعريب تأليف مار باسيليوس كتاب صلاح الحكيم وفساد الذميم . في مكتبة القس بولس سباط (ROC, XIV. p. 352) وفي مكتبة الموارنة في حلب وفيها يقال انَّ المطران جرمانوس فرحات اصلح تعريبهُ وكتبهُ القس عبد المسيح الحلبي الاروني سنة ١٧٣٠ . ٧ً وقد عرَّب ايضاً من اليونانيَّة اعمال المجامع المسكونيَّة الاولى الاربعة في نحو ٢٠٠٠ صفحة . منهُ نسخة في عدَّة مجلَّدات في مكتبة الموارنة في حلب تاريخها سنة ١٧٤٣ وفي مكتبتنا الشرقيَّة منهُ مجمع نيقية والقسطنطينيَّة الاول ومجمع سرديكي . ٨ً كتاب توضيح كيفيَّة التوبة والاعتراف فيما يلزم المعترف والمعرَّف . في حلب في مكتبة الوجيه نقولا ايوب . وهذا الكتاب طبع في حلب سنة ١٧١١ . ٩ً وكتاب منهج الصلاح لبغية النجاح في مكتبة الروم في حلب (النصة ٢ : ٤٠٨) . ١٠ً وطبع في بلاد الفلاخ القنداق والساعيَّة عربيًّا ويونانيًّا . ١١ً ولهُ تعريب التريودي نقحهُ المطران فرحات منهُ نسخة عند الخورفسقوس جرجس شلحت في حلب .

١٢ ومن كتبه المرطوقيَّة تعريبهُ رسالة ضدّ الايمان الرومانيّ في السبع القضايا. وقد ردّ عليهِ الشمّاس عبدالله زاخر. ١٣ وكذلك عرَّب كتاباً آخر ضدّ الايمان يعرف بصخرة الشكّ سعى بطبعهِ في انكلترة ثمّ طُبع في روسيَّة . (اطلب ديوان البدع للمطران جرمانوس فرحات ص٩٩ من نسختنا الخطّيَّة)

٧٤ اثناسيوس الاورشليمي ﴿ هو اثناسيوس الرابع بطريرك الروم على القدس الشريف (١٤٥٢—١٤٦٨): لهُ كتاب مواعظ عددها ٦٦ عظة للاعياد والآحاد . منهُ نسخة في مكتبة برلين (Ahlwardt, IX, n° 10194) وفي مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبة مدرسة الصلاحيَّة في القدس (Or. Chr. IV. 1914, p. 105, n° 35) وفي مكتبة القبر المقدّس فيهِ. وهذه المواعظ طُبعت في حلب سنة ١٧١١ . ٢ وقد نقل الى العربيَّة كتاب الدرّ المنتخب ليوحنّا فم الذهب. منهُ نسخ خطّيَّة عديدة في حلب وبيروت وقد طبع الكتاب في حلب سنة ١٧٠٧ . وهو الكتاب الذي نقَّحهُ سنة ١٨٧١ الشيخ ناصيف اليازجي وطبعهُ في مطبعتنا الكاثوليكيَّة. ٣ ولهُ في احد مجاميع مكتبتنا الشرقيَّة اربع عظات في عيد التجلّي وفي دخول العذراء للهيكل وفي نياح العذراء وفي صعود الربّ

٧٥ ﴿ اثناسيوس التوتنجي ﴾ هو اثناسيوس الحلبيّ مطران طرابلس المتوفى في ٢٩ شباط ١٨٧٤ (اطلب المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٤٠٧) . لهُ في مكتبة حضرة الآباء البيض في الصلاحيَّة في القدس الشريف مجموع مواعظ (Or. Chr. l. c., p. 112, n° 43)

٧٦ ﴿ اثناسيوس مظلّع ﴾ مطران حمص ثمّ مطران بيروت ولبنان الاورثدكسي سنة ١٨٠٤—١٨١٤ هو معرّب كتاب البرق الانجيلي للشمّاس مكاريوس مثلّث مدرسة بطمّوس. في مكتبة الروم في دمشق. طُبع الكتاب في مطبعة القديس جاورجيوس في بيروت في مجلّدين ١٨٨٨—١٨٨٩ . ولهُ في مكتبتنا الشرقيَّة مقالة مخطوطة في الياً النبي كتبها وهو مطران حمص سنة ١٧٩٠

٧٧ ﴿ اثناسيوس مطروبوليت عكّا ﴾ كان في اواسط القرن التاسع عشر عرَّب سنة ١٨٢٤ من اليونانيّ مقالات انيثوخوس المتوحّد في دير القديس سابا . منهُ نسخة في مكتبة القبر المقدّس للروم في القدس (ع. ٨٣)

(لهُ تابع)

الاب شربل

حبيس عنّايا القديس

بقلم حضرة القس طانيوس شبلي الراهب المارونيّ

عنايا ودَيرها ومحبسها

على ابهى تلّ من تلال لبنان في جهتهِ الشماليّة دير للرهبانيّة المارونيّة البلديّة يُعرَف بدير مارون عنّايا موقعهُ شرقي جُبّولا يبعد عن قرية اهمج زهاء نصف ساعة غربيًّا ويعلو فوق سطح البحر بنحو ١٢٠٠ متر. وعنّايا (١ هذه التي نُسب اليها الدير مزرعة من مزارع جبيل كان يسكنها قبل القرن التاسع عشر قومٌ من المتاولة اهل الشيعة فانتقل اسمها الى الدير لمّا ابتاع الرهبان بالمهم ارضهُ وشيّدوهُ فيها في السنة ١٨٣٩ حتّى انتهوا منهُ ومن بناء كنيستهِ في السنة ١٨٤١ إثر المصائب التي دهمتهم في السنة ١٨٤٠ بحلول العساكر المصريّة في لبنان

وفوق هذا الدير على علو نحو مئة متر ربوةٌ يمتدُّ منها البصر الى افق فسيح الارجاء. فيرى الناظر قسماً كبيراً من لبنان وتقرُّ عينهُ بمشاهد فتّانة تأخذ بمجامع قلبهِ من صرود وبرود وجبال ووهاد ومزارع واحراج. فعلى هذه الرابية قامت صومعةٌ صغيرة مؤلّفة من خمس غرف ضيّقة يسكنها الحبساء. والنسّاك من رهبانيّتنا ومجنبها كنيسة على اسم القديس بطرس وبولس مكتنفة باشجار السنديان الكثيفة

وهذه المحبسة وكنيستها سبقتا بناء الدير ومحلّتها تُعرف بمحلّة الرُّوَيس كانت من املاك المشايخ بيت ملحم الشيعيين وهم يدعونها «بالنبيّ رأس» امّا المسيحيّون فكانوا يطلقون عليها اسم مقام التجلّي لمّا اشتراها في العشر الثاني من القرن التاسع

١) عنّايا لفظة سريانيّة فسّرها البعض بمعنى المتني (ܥܢܝܐ). وعندنا انها مشتقّة من (ܥܢܝܢܐ) او من جمعها (ܥܢܝܡܐ) ومعناها العبّاد والرهبان لعلّهم اشاروا باسمها الى الذين نسكوا فيها في سابق الاجيال فعادت بناء دير مار مارون الى ارباحا

عشر من الشيخ حسن ملحم رجلان فاضلان من اهمج اسمها يوسف ابو رميا وداود موسى عيسى خليفة . وكانت غايتهما ان ينقطعا هناك الى عبثة النساك فزهدا بالعالم ولبسا اسكيم الرهبان المعروفين بالعباد من يد البطريرك يوحنا الحلو . ثم عنيا ببنا الكنيسة سنة ١٨١٢ . ودرس داود اللاهوت فصار كاهناً ودُعي باسم بطرس وانضم اليهما عدة شبان من اهمج وعاشوا على طريقة الرهبان العباد . الى ان طلبوا الانضمام الى الرهبانية اللبنانية البلدية في عهد الطيب الذكر الاب اغناطيوس بليبل الذي تولى رئاسة الرهبنة العامة مدة سبعة مجامع متواصلة من السنة ١٨١١ الى ١٨٣٢ . فسلم الاب بطرس كل ما في يده من الاملاك الى الرئيس العام تسليماً باتاً شرعياً

ومن ذاك الحين دخل محبسة مار بطرس عنايا رجال من ذوي البر والفضل العظيم كالاب البشاع الحرديني الذي قضى ٤٠ سنة في تلك المحبسة (١٨٣٠—١٨٧٥) وكالاوين ليباوس الراماتي ومكاريوس المشمشاني ولكلهم اخبار تدل على قداسة سامية نرويها ان شاء الله عند سنوح الفرصة ليتحقق اهل الوطن الكرام ان يمين الله لم تقصر في كنيسته وانه تعالى عجيب في قديسيه . ونحن نكتفي الآن بذكر نبذة قصيرة عن احد المجاهدين في تلك المحبسة بنسبة تذكار السنة الخامسة والعشرين لوفاته نزيد به ذاك الحبيس الطاثر الشهرة في انحاء لبنان : الاب شربل الراهب اللبناني الماروني الصالح الذكر المعروف بالاب القديس . مستندين في كل ما نرويه الى شهادات مخطوطة وشفاهية نقلناها عن سجلات اديرتنا في قزحيا وكفيفان او سمعناها من رهبان وكهنة وعالمين موثوق بهم لا شبهة في شهادتهم المؤيدة بالقسم والمديلة بختومهم وامضائهم

في صدائق الاب شربل ودخوله الرهبنة

ولد الاب شربل في قرية بقاع كفرا من والدين تقيين ربياه على خوف الله من صغره وعوداه منذ نعومة اظفاره الصوم والصلاة وحضور القداس كل صباح فشب الولد على هذه الخلال الطيبة والمزايا الحميدة التي رآها محببة في والديه فحذا حذوهما . وما كادت الدنيا تكشف له عن زخرفها واباطيلها وتجلى لباصرته مصير الانسان وعاقبة الحياة حتى كره العالم وزهد في شهواته . واذ رأى الرهبان وعرف

طريقتهم النسكيّة احبّ ان ينتظم في سلكهم . فانسلّ من بيت والديه سرًّا لئلّا يصدّهُ احدٌ من اقاربه عن بلوغ غايتهِ وتوجّه الى دير مار مارون عنّايا راجيًا الدخول في عداد الطالبين . وما لبث اهلهُ ان علموا بفرارهِ الى الدير فأتى عمّه ليثنيهُ عن عزمهِ واجتهد ليردّهُ الى بيت والديهِ فوجدهُ مصمّماً على نيّتهِ لا يقنع بكلام بشر بلاء دعوة الله فرجع عنهُ خائب الامل

امّا رئيس الدير فلمّا رأى ثبات الشاب توسّم فيه الخير واستدلّ من ملامحهِ على نجابتهِ ورصانتهِ فقبلهُ في جملة المبتدئين وكان ذلك في السنة ١٨٥١ ولهُ من العمر ١٨ سنة . فانقطع منذ اوّل تسكهِ الى خدمة ربّهِ بكلّ نشاط وتُقى واكتسب بسلوكهِ الحسن وفضيلتهِ الراسخة قلوب اخوانهِ ورؤسائهِ واشتهر في زمن ابتدائهِ بطاعتهِ وسذاجتهِ وخلوص عبادتهِ

ولمّا اكمل سنتي التجربة البسهُ رئيسهُ الاب انطونيوس الباني الاسكيم الرهباني في غرّة ت ١ سنة ١٨٥٣ . وبعد ابرازهِ النذور الرهبانيّة اقام مدّة في الدير ثمّ ارسلهُ الرؤساء الى مدرسة دير مار قبريانوس كفيفان ليتلقّى فيها العلوم استعدادًا للكهنوت . فاجتمع هناك برهبان ذوي فضل وفضيلة نخصّ منهم بالذكر رجل الله الاب نعمة الله الحرديني المعروف براهب كفيفان (١ الشهير بقداسة سيرتهِ فتعطّر الاخ شربل بشذى فضيلته وحقّر وفاتهُ الصالحة في ١٤ ك ١ ١٨٥٨

ثم اخذ يثابر على الدرس مكبًّا عليهِ بغيرة لا تعرف الملل دون ان يتهامل البتّة عن ممارسة الفضائل الرهبانيّة بل كان يقدّم كمال نفسهِ على كلّ شيء . وكان يدير شؤون مدرسة كفيفان رجل بالغ الصلاح المرحوم الاب نعمة الله الكفري الشهير بفضلهِ وعلمه فدرس عليهِ اللاهوت الادبيّ والنظري مع اصول اللغة السريانيّة . وبعد ستّ سنوات رقّاهُ المطران يوسف المزيض مع عدّة من اخوانهِ التلاميذ الى الرتبة الكهنوتيّة بامر السيد البطريرك برلس مسعد وذلك في دير سيّدة بكركي في شهر نيسان من السنة ١٨٥٩

١) الطلب ترجمتهُ في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٦٠٥) تحت عنوان «زهرة لبنان في راهب كفيفان»

قدوة الرهبان

استدعى الرؤساء الاب شربل بعد سيامته كاهناً الى دير عنّايا الذي كان ترهّب فيه فاقام هناك عدّة سنين بين اخوته الرهبان يصعد كلّ يوم سلّم الفضائل درجةً فدرجة حتّى بلغ اسمى الكمال

وكان معظم همّه الابتعاد عن ضوضاء العالم وسدّ اذنيه عن جلبتها وحبس نفسه بين جدران الدير فاخذ يواظب على التقشّفات والاماتات كبحاً لجماح الجسد وقهراً لبوادره واهوائه المنحرفة فما عتّم بلزومه الوحدة والاختلاء ان ذاق لذّة الحياة الروحيّة وشعر بسلام وفرح باطنيّ لا يأنس بهما الّا من تفرّغ لعبادة الله ومناجاته . ومن ثمّ كان يؤثر الموت على الخروج من الدير والمكث في خارجه ولو مدّة قليلة لئلّا تبرد حرارة تقواه المتأجّجة في قلبه . فيقضي معظم اوقاته في الكنيسة جاثياً امام القربان الاقدس غارقاً في بحر التأمّلات العقليّة لا يأخذه في صلاته ملل او سأم

وكان اذا امره رئيسه بالذهاب الى قرية لخدمة روحيّة او للصلاة على رأس مريض لبّى من وقته اوامر الطاعة ثمّ يعود في اليوم ذاته لئلّا يفتقد ذرّة من نعمة العيشة الرهبانيّة . امّا اذا أمر بمساعدة الرهبان في شغل الحقل فكان يطيع فرحاً مسروراً ولم يُرَ قطّ بطّالاً ولو زمناً قليلاً

ولمّا كانت عادة رهبان ديره ان ينهضوا نصف الليل ليتلوا الفرض القانوني في الخورس ثمّ يعودوا بعده الى النوم ريثما يقرع جرس صلاة الصباح كان الاب شربل يقضي باقي ليله ساهداً يحييه كلّه بالتردّد مع الله منخطف الروح في مناجاته تعالى ولا يخرج من الكنيسة الّا بعد ان يتلو مع اخوته صلاة الصبح وفي آخر الجميع

وكان يحضر قدّاديس كل اخوته الكهنة ويستعدّ استعداداً طويلاً لتقدمة الذبيحة الالهيّة في اثرهم جميعاً فاذا باشره تلاه بكل خشوع وورع تلوح على كلّ شخصه سمات الرزانة والتواضع وربّما قضى في تلاوته ساعةً او اكثر لاستغراقه في اثنائه بالتأمّل ولحرصه على اتقان كل الفرائض الطقسيّة والرتب الكهنوتيّة

وكان الاب شربل مفرماً بتلاوة الكتب الروحيّة لاسيما كتاب الاقتداء بالمسيح فيقرأه بكلّ لذّة واصغاء ليغذي بقوته الروحي نفسه . ولشغفه بالله تعالى وتأمله

الدائم في السماويّات كان يذهل احياناً كثيرة عن كلّ امور الارض حتى لا يكاد يشعر بما يجري حولهُ واذا خاطبهُ احد وجدهُ لاهياً عن استماعهِ وفكرهُ في الامور العلويّة. وكان في غير وقت صلاتهِ قليل الكلام لا يجاوب الّا اذا سُئل تلوح على جبينهِ سمات البشر والوداعة والسكينة ممثّلاً في شخصهِ ما قيل عن سيّدهِ « لا يصيح ولا يماحك ولا يُسمع لهُ صوت » (اشعيا ٤٢: ١—٢) وقصارى الكلام كانت حياتهُ في الدير اشبه بحياة الارواح السماويّة

وبديهيّ ان الحياة الرهبانيّة متوقّفة خصوصاً على حفظ النذور الثلثة اي الفقر والعفّة والطاعة. وفي هذه الفضائل الثلث قد بلغ الاب شربل مبلغ الكمال الرهباني

فانّ فقرهُ الاختياري لم يقتصر على نبذ مال العالم ومقتنياتهِ بل اراد ان يعيش كاذلّ الفقراء وأدقّهم سواء كان من جهة الملبس ام المأكل والمشرب او السكن. فمن جهة اللباس لم يختر لنفسهِ الّا ادناهُ فيفرح باعتق الثياب مع اعتنائهِ بنظافتها ويكتفي بالكسوة الخشنة صيفاً وشتاء لا يزيد عليها قطعةً واحدة في ايّام البرد القارس في قمم لبنان حيث ينتصب دير عنّايا. امّا اكلهُ فكان يرضى منهُ بما لا يرضى بهِ الفقراء عينهم فيقتات بكسر الخبز اليابسة او المحترقة والثمار الرديئة. ولم يذق اللحم في حياتهِ واذا قضى صُلب يومهِ مشتغلاً في الكرم كان لا يمدّ يدهُ الى حبّة من العنب ما لم يطعمهُ احد فيتناولهُ كصدقةٍ الى فقير

وكيف نصف عفّتهُ وطهارة قلبهُ فانّ نفسهُ كانت خدراً لجلالهِ تعالى ومهبطاً لآلائهِ السنيّة. ولا عرو فانهُ كان سدّاً في وجه عدوّ الجنس البشري كلّ منفذ الى نفسهِ لئلّا يشوب ادنى فساد بياضها الناصع. فحفظاً لبهاء هذه الدرّة الكريمة كان يزيد في صومهِ ونسكهِ وتقشّفاتهِ حتّى امسى شاحب الوجه ناحل الجسم اشبه بملاك مُتقمّص بجسد انساني. وكان حريصاً على حفظ حواسّه لاسيما بصرهُ فانهُ قضى حياته دون ان يرفع عينيهِ الى وجه انسان وخصوصاً الى وجه النساء فكان الاسكيم يغطي ابدًا رأسهُ وجبهتهُ فلا ينظر الّا الى طريقهِ اذا خرج من قلّايتهِ الى الكنيسة او الحقل. وقلبهُ مشّجه دون انقطاع الى التأمّل في كمالاته تعالى. فاذا نظرهُ احد انجذب بروّيتهِ الى الافكار الصالحة والى محبة الله

امّا طاعتهُ فكانت طاعة الطفل لوالديه والتلميذ لمعلّمهِ. وقد امتاز بها بين كلّ

الرهبان اخوته يرى في رؤسائه شخصهُ تعالى فيتمم اوامرهم كلها كأنها أوحيت اليهِ من الله . ولم يقصر طاعتهُ على امر الرئيس فقط بل كان ينقاد إلى آخر راهب في الدير ولا يستنكف او يتبرّم اذا أُمر بتزاولة الاشغال الشاقّة في الحقل او بالقيام بخدم الدير الدنيئة كوظيفة الطبّاخ وما اشبه . لا بل كان يُسَرّ سروراً عظيماً بمثل هذه الاعمال التي تسهّل لهُ اقتباس التواضع ويربح بها اجر الراهب الصالح . وقد اضحى لسائر اخوتهِ الرهبان نموذجاً حيًّا في ممارسة الطاعة

سيرة الاب شربل في الحبسة وكراماته

للحبساء في رهبانيّتنا اللبنانيّة قوانين ينبغي مراعاتها لمن يشاء ان يعيش في الخلوة . فالاب شربل بعد ان قضى في الدير نحو خمس عشرة سنة بممارسة كلّ الفضائل الرهبانيّة الهمهُ الله ان يطلب من رؤسائهِ الرخصة في سكنى محبسة دير عنّايا الموصوفة سابقاً فاجابوا الى ملتمسهِ لعلمهم بسموّ فضلهِ . فما كاد يفوز بمرغوبهِ حتى اطلق العنان لكل رغائب قلبهِ الصالح . فضاعف اعمالهُ الزهديّة وزاد استحراراً بالصلاة ونشاطاً في خدمة خالقهِ على مثال الاب الشاع الحرديني الذي سبقهُ الى الانفراد .

فكان لا يأكل بالنهار الّا اكلةً واحدة خفيفة يغتذي ببعض البقول المسلوقة او النيّئة واحياناً يبلّها بالزيت . وكان ينام قليلاً ويضطجع على فراش من ورق العنص والسنديان وغطاء الشجر يبسط عليهِ بَلاساً من جلد المعز وقطعةً عتيقة من اللبّاد ويسند رأسهُ الى جذوةٍ من الحطب ملفوفة بخرقة عباءة سوداء . وكان يدرس عيشة كبار الحبساء الزهّاد ليقتدي بهم . فيقضي الليل والنهار بالتأمل والصلاة يردّد في ذهنهِ الحقائق الدينيّة ويطبع في قلبهِ ذكر عواقب الانسان . وكان يُرى ساجداً امام القربان ساعات متواصلة لا يُبدي حراكاً . ومن تقشفاتهِ انهُ كان يركع في الكنيسة على قضبان جاسية محبوكة على شبه دائرة يسترها بقطعة عباءة سوداء

واراد في محبستهِ ان لا يفقد شيئاً من اجر الطاعة . فكان في كلّ مدّة اقامتهِ فيها مقيّداً باشارة رفيقهِ او خادمهِ يطيعهما اطاعة العصا للاعمى فلا يباشر عملاً الّا عن اذنهما فما لبث ان انتشر عرف هذه النفسجة الخفية وغدا خبر رجل الله في انحاء لبنان الشمالي فاخذ الناس يقصدونهُ لينالوا بركتهُ ويطلبوا شفاعتهُ ويلتمسوا منهُ شفاء

امراضهم وكان الاب شربل يأبى أن يكلّمهم حتى تقدّم اليهِ رئيسهُ باستقبالهم فكان يفعل مرغوماً ويقلّل مواجهتهم طاقة جهدهِ مطرقاً الى الارض. امّا النساء فلم يشأ البتّة ان يقتربنَ من محبستهِ حتّى اقربهنّ اليهِ

وقد ظهرت على يدهِ كرامات عديدة يتّفق الجميع على انها ثمرة قداستهِ وعظم حظوتهِ عند الله . نكتفي بذكر شيء منها ممّا شهد عليهِ الكثيرون

فمن ذلك انّ الجراد زحف في احدى السنين على لبنان فغطّى بطونهُ وحزونهُ وألحق ضررًا كبيرًا بالمزروعات فصلّى الاب شربل على الماء بأمر رئيسهِ فلمّا رُشّ على الزرع في مزارع دير عنّايا وجوارها لم يَمُد يقربها الجراد وسلمت من اذاها

ومنها انّ عارضاً من الجنون اصاب المدعو جبرائيل سابا من اهمج أدّى بهِ الى اسوإ الاعمال حتى نغّص عيشة والديه فشفاهُ الاب شربل تماماً بالصلاة على رأسهِ

وانقضّت الصاعقة يوماً على شابّ آخر من اهمج اسرة سابا طنوس موسى فتتوّس ظهرهُ واشتدّ المهُ حتى بقي عدّة سنوات لا يستطيع ان يمشي ويقاسي منها الاوجاع دون ان ينجع فيهِ دواء فنقلوهُ الى زيارة الاب شربل وكانت جثّتهُ بعد وفاتهِ معروضة في الكنيسة فمسح الشابّ يدهُ عليها ثمّ امرّها على موضع الوجع فشفي تماماً كما قرّر ذلك بشهادته

ومن غريب ما حدث للاب شربل انهُ في مساء يوم وضع سراجهُ في المطبخ ليعتمرهُ وكيل الكلار بالزيت فاخذهُ بعض الخدم وصبّ فيهِ ماء واعطاهُ للاب شربل زاعماً انهُ مملوء زيتاً . فاشعلهُ الاب شربل واستضاء بهِ في ليلهِ كأنهُ زيت. فاحسّ بهِ رئيسهُ وكان امر في غيبة الاب شربل بان تُطفأ السرج ليلاً فلم يعلم بامرهِ فدخل عليهِ الرئيس ونبّههُ على ايقادهِ السراج فركع الاب شربل حالاً لرئيسهِ مستغفرًا دون ان يعتذر عن جهلهِ بامرهِ . ثمّ اطفأ السراج ورقد. لكن شمّاساً اعلم الرئيس بما فعل الخادم وكان رآهُ يصبّ الماء في السراج. فتعجب الرئيس من قولهِ واراد ان يمتحن السراج فوجدهُ مملوءًا بالماء فاضطرب وطلب الساعة من مرؤوسهِ لتوبيخهِ اياه

وفاة الاب شربل وعجائبه بعد وفاته

بقي الاب شربل مثابرًا على كلّ اعمال النسك بثبات عجيب يزيد كلّ يوم كمالاً

قدّام الله والناس . وهو مع كلّ شظف عيشهِ وتقشّفاتهِ متمتّعاً بتمام الصحّة الى اواسط كانون الاوّل سنة ١٨٩٨ . فلمّا كان يوم الجمعة ١٦ من الشهر شرع الاب بتلاوة الذبيحة على مألوف عادتهِ وانتهى الى كلام التقديس فشعر اذ ذاك برجفة ووجع قلب فتقدّم اليهِ الاب مكاريوس رفيقهُ ونزع عنهُ البدلة وسار بهِ الى قلّايته وبعد ان استراح قليلاً عاد ليتمّم الذبيحة وبلغ الى رفعة الكأس والقربان حيث يتلو الكاهن الصلاة التي اوّلها أَحُلْ وَفَحْمُهُ (ايها الآب الحقّ) فرفع الكأس وعاودهُ العارض نفسهُ فاستمرّ دون حراك مدّة بضع دقائق والكأس في العلاء الى ان تمكّن رفيقهُ من فتح اصابعهِ واستلام القربان من يدهِ فوضعهُ على الهيكل وحمل الاب شربل الى غرفتهِ . فكان هذا آخر قدّاس تلاهُ ولم يتمّهُ

وكان الداء الذي حلّ بهِ هو التالج قاسى اوجاعهُ المرّة مدّة ثمانية أيّام لم يملّ لسانهُ في خلالها عن شكر الله والتسليم لارادتهِ تعالى . وكان لا يزال يستعين باسم يسوع ومريم ويوسف وبالقديسين بطرس وبولس . واذ اشتدّت عليهِ وطأة المرض غاب عن الهدى وهو يردّد الصلاة السريانيّة التي كان بلغ اليها في قدّاسهِ الاخير «ايها الآب الحقّ » وكان رفيقهُ الاب مكاريوس وحضرة الخوري مخائيل ابي رميا اهمج يتناوبان في خدمتهِ ويقرأان لهُ الكتب الروحيّة ومنحاهُ الاسرار الاخيرة فقبلها بكل ورع وخشوع . واذ قدّما لهُ حساء ليسند بهِ ضعفهُ لم يشأ ان يذوقهُ اذ عرف انّ فيهِ سمناً لأن تلك الايام كانت قطاعة الميلاد . وكانت الكلمة الاخيرة التي تفوّه بها في نزاعهِ صلاة الذبيحة السابق ذكرها . ثمّ اسلم روحهُ بكل هدوء مساء اليوم ٢٤ من كانون الاوّل وهو يومون عيد الميلاد كأنّ الله اراد ان ينقلهُ الى جنان الخلود فيولد للسماء يوم ولادة ابن الله على الارض

كانت حفلة جناز الاب شربل بسيطةً لكنّها مؤثّرة جدًّا قام بها اخوتهُ الرهبان وبعض الاهلين المجاورين لعنّايا وكلّهم يردّدون كلمة الاسفار المقدّسة : « فلتمتْ نفسي ميتة الابرار » . ودُفن في مقبرة الدير . وقد شاهد كثيرون من العوام ليلة دفنهِ نوراً يتلألأ فوق ضريحهِ كان كشعاع وهّاج يطلع حيناً ويهبط حيناً آخر . واخذ الزوّار منذ ذاك الوقت يتواردون الى قبرهِ . وهم يروون لهُ عدّة كرامات تتجدّد الى يومنا هذا

وبعد بضعة اعوام طلب رئيس دير عنّايا المرحوم القس انطونيوس المشمشاني من غبطة السيد البطريرك الحالي الاذن بفتح قبره ليكشف عن رفاته فاذن غبطته فوجدوا جسمهُ سالماً من الفساد رغماً عن المياه النازلة في القبرة الّا ان قشرةً سميكة من العفونة كانت تغطّي وجههُ ويديهِ وصدرهُ . فلمّا كُشطت بان جسمهُ محمَّرًا وبزى من خاصرته دمٌ طري ممزوج بماء. فنزعوا عنهُ ثيابهُ وبدلوها بغيرها ووضعوهُ في تابوت في غرفة خاصة حيث تقام الذبيحة الالهيّة كلّ يوم ويأتي الزوّار ليتبرّكوا بنظرهِ وتنبعث من جسمهِ الى اليوم رائحة طيّبة وينضح منهُ مادّة كالعرق مع انهُ قد مرَّ على وفاتهِ ٢٤ سنة . ويضطرّون الى ابدال ثيابهِ وغسلها من مدّة الى أخرى . وقدشاهد عدّة اطبّاء من اهل بيروت ومن لبنان جثّتهُ وفحصوا ذاك العرق الذي يفرزهُ جسدهُ الطاهر كالاجسام الحيّة فلم يمكنهم تعليلهُ الّا باقرارهم انّ ذلك معجزةٌ من الله لاكرام عبدهِ . وهذه شهادة للدكتور الياس العنيسي كتبها حديثاً نوردها بحرفها الواحد

« شاهدت في دير مار مارون عنّايا جثّة وليّ الله الاب شربل. فمند اقترابي من الصندوق الموضوعة به شممتُ رائحة جسيمة لا يمكن التعبير عنها فهي نظير كلّ رائحة تنبعث من الاجسام الحيّة . وبعد نظري الى الجثّة والتأمل ملياً واسعان النظر بها وجدتُ مادّة خارجة من مسام الجلد الامر المستغرب والغير الممكن تعليلهُ طبيعياً في جسم بلا حراك منذ سنين عديدة . وراجعتُ الكشف على هذه الجثّة مرارًا عديدة باوقات مختلفة ولم ترل هي هي . تحريرًا في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢١

كاتبهُ الدكتور الياس العنيسي

هذا ما كتبناه بكل اختصار وفي نيّتنا ان نرويهِ مفصّلًا ان شاء الله. ليتمجّد الربّ في قدّيسيه ويتحقّق اللبنانيّون ان جبلهم لايزال موتعاً بآثار القداسة وانهم ابناء القديسين فيجرون على آثار اجدادهم الابرار

نظر اجمالي في ترقّي العلوم سنة ١٩٢١

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد اودع الله في عالمنا هذا الصغير اسراراً من العلم تتهافت العقول على اكتشافها

فتذخر لها بالوقوف عليها مجدًا اثيلًا . وانما المجد قبل كلّ لذاك الذي حصر في ارضنا كل هذه العجائب التي لم يستنفدها العلماء منذ اوّل العالم الى يومنا بل لن يستنفدوها الى آخر الدهر

فهلمّ نذكر شيئاً ممّا توفق ارباب البحث على اكتشافه في العام المنصرم مباشرة بالعلوم الفلكيّة

١ العلوم الفلكيّة

بقي الفلك الوفاً من السنين ككتاب مطويّ لا يستطيع الانسان فتحهُ فيجدُّ ما يراهُ من القبّة الزرقاء جلدًا من الزجاج مرصّعاً بمسامير من الذهب هي الكواكب . الى أن اتت الآلات الفلكيّة كالنظّارات والمجاهر فساوقتنا على حقيقة الامور . الا انّ اكتشافات عصرنا قد فاقت على كلّ ما سبق اكتشافهُ في القرون السابقة

ولكن كم بقي هناك من الامور الغامضة والمشاكل العويصة التي يحيط العلماء كلّ يوم عن بعضها الستار . فهذه سيّارة ارضنا القمر فمع قربه من فلكنا تحيّر في احوالهِ العقول . فمن ذلك انّ احد علماء اميركة الدكتور بكرنغ (Pickering) من اساتذة جامعة هرفرد زعم في العام الماضي انهُ وجد في القمر آثار الحياة قال انهُ تحقّق وجود مزارع واسعة بواسطة آلاتهِ الرصديّة . الّا انّ العلماء الفرنسويين اثبتوا لهُ انّ ما حسبهُ زرعاً انما هي بُقَع مخضرّة تُرى بعد طلوع الشمس بزمن قليل حيث تضرب اشعّتها على رؤوس من القمر متبلورة فتُرى للعين خضراء . امّا النبات فلا اثر لهُ في القمر فانّ هذه السيّارة قد جمدت منذ الوفٍ من السنين لا حياة فيها البتّة ولا جوّ لها كارضنا

وممّا ساعد على تحقيق ذلك اطلس القمر الواسع الذي رسمهُ الفلكيّان لوثي وبويزو (Lœvy et Puiseux) من مرصد باريس . وكذلك انتهى مؤخرًا من رسم خارطة جميلة للقمر ولكل اخانهِ وجغرافيّتهِ الطبيعيّة المسيو دي مورفان (M, de Morvan) احد اعضاء المرصد المذكور

وفي هذه الخارطة دلالة على شقوق كبيرة شبه القموع زعمت احدى المجلّات الوطنيّة انها حدثت بسقوط نيازك على القمر . والصحيح انّها آثار في القمر يوم كانت نيرانهُ متأججة وقشرتهُ الخارجة خفيفة فحدثت فيه نتوّات وانخفاضات شتّى تُرى آثارها في المراصد الكبرى

وقد حدث في العام الماضي كسوفان للشمس كان احدهما إكليليًا في ٨ نيسان والثاني كاملًا في ١ تشرين الاوّل. وخسوفان للقمر في ٢٢ نيسان و ١٦ تشرين الاوّل. لم نرَ من كلّ ذلك في بيروت سوى خسوف تشرين الذي انتقد فيه بعضُ المتنوّرين من اهل بيروت القمر من مخاليب التنين فاستحقّوا شكرهُ (اطلب المشرق ١٩٢١ ص٨٨٧). وفي السنة الحاضرة يُنتظر كسوفان للشمس يكون الواحد جزئيًا في ٢٨ آذار والآخر كاملًا لا يُرى في سوريّة يقع في ١١ ايلول. أمّا القمر فلا يُخسف ولا يتهدّده وحش ينبغي ردّ غارته بالطرطقة

أمّا النجوم فانّ العام الماضي كشف لنا شيئاً من اسرارها فمن ذلك ما اثبتهُ حضرة الاب رفائيل نخله عن قياس ابعاد النجوم عن ارضنا (اطلب المشرق ١٩٢١ ص٤٤—٤٩) ما تتحير لهُ الالباب وبهِ تعظم في عيننا قدرة الخالق الى حدّ اللانهاية

ومنهُ ما تحقّقوهُ عن التغيير الطارئ على بعض النجوم التي تظهر احياناً ساطعةً نيّرة تكاد تجاري في نورها الكواكب الزهراء ثم لا تلبث ان يضعف نورهـا حتى تتوارى فلا يقف عليها الناظر الّا باكبر الآلات الراصدة. امّـا تعليل هذا التغيير فالبعض نسبوهُ الى دوران هذه الكواكب حول نجوم أخرى فتارةً تقرب منّا وتارةً تبتعد فيزيد او يخفّ نورها بذلك. ويزعم غيرهم انّ في تركيب هذه النجوم والتلّبات الطارئة عليها ما يزيد نورها سطوعاً احياناً ويضعفهُ احياناً

وقد انتهى منذ امدٍ قريب اصطناع الفرنسويين لاكبر مرآة رصديّة تُعرف الى اليوم قطرها متران ونصف اصطنعوها لمرصد مُنت ولسون في الولايات المتّحدة. تمكّن الفلكيّون الاميركيّون بواسطتها ان يقيسوا قطر اكبر النجوم وهو النجم المعروف بالنول في كوكبة بيت الجوزاء فوجدوا انّ قطرهُ ٣٠٠ مرّة ازيد من قطر الشمس فيساوي ٤١٥ مليوناً من الكيلومترات

وقد اخترع حديثاً الفلكيّ الاميركي ميشلسن آلة تمكّن من افراز النجوم المزدوجة عن بعضها سواء ظهرت لبعدها كنجم واحد ام احتجب نجمٌ وراء نجم آخر

٢ الآثار الجويّة

اهتمّ حضرة الاب برلوتي باصلاح مرصد الآثار الجويّة في كسارة بعد ما اخربهُ

منهُ الاتراك . لا بل اصبح هذا المرصد بهيئتهِ مهدًا علميًّا راقيًا يدوّن معلوماتهِ ثلثةٌ من آباء رهبانيَّتنا . وهو ينشر كلَّ يوم نشيرةً يتشارك بنشرها رجال الاسطول الفرنسوي في سوريَّة وهي تدلّ على ضغط الهواء وورجهتهِ وسرعتهِ وعلى حالة السماء من غيم او صفاء وعلى اعلى درجة الحرارة واسفلها وعلى احوال البحر وذلك كلهُ في نقط معلومة اي في كسارة وفي بيروت وفي الاسكندرونة وصور . وممَّا يفيد عنهُ ايضاً وقوع الزلازل وبُعدها وجهتها . وله كذلك محطَّة للتلغراف اللاسلكي تربطهُ مع فرنسة والبلاد الاجنبيَّة فانَّها تلقَّت منذ يوم الاثنين ٦ شباط خبر انتخاب الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر . فهذه الخدم المشكورة ادَّت بالاكاديميَّة الفرنسويَّة الى ان تنوِّط هذا المعهد فخصَّتهُ بهديَّة ماليَّة كما منحت الدولة الفرنسويَّة اصحابهُ الوسامات الشرفيَّة

وقد اشتدَّت في العام الماضي الحرارة في انحاء اوربَّة واميركة وتعدَّدت الوفيات بضربات الشمس . وقد نسب العلماء ذلك الى الكلف الذي لحظوهُ في الشمس كما بان لهم سابقاً . وشُوهدت في سواحلنا موارد المياه لقلَّة ما سقط من الامطار في الشتاء . وكأن الله اراد ان يعوّض لنا عنها بغزارة غيوث السنة الحاليَّة

وقد مُنيت الصين بالقحط فذهب بالمجاعة الالوف المؤلَّفة من سكَّانها . فاتت هذه الآفة عبئاً ثقيلاً عليها مع الحرب الاهليَّة في بعض ايالاتها . ثم اصيبت ولاية كنشونغ سي بكارثة الزلازل قُتل ٢٥٠٠٠ من اهلها فكانت ثالثة الاثافي

وقد شعرنا في بيروت بهزَّات ارضيَّة في نيسان في صباح اليوم ١٢ منهُ وخصوصاً في اليوم العشرين حيث حدثت هزَّة شديدة الساعة السادسة مساء سُمع لها دويٌّ قويٌّ

٣ الجيولوجية والجغرافية

دُشن في باريس معهد كبير اهداهُ اميز موناكو لفرنسة وخصَّهُ بدرس الهياكل البشريَّة المكتشفة في قلب الارض طبيعيَّةً كانت او مستحجرةً ليُستدلَّ بها بطريقة علميَّة على تاريخ الانسان على الارض . وقد قلنا سابقاً انَّ لا بأس على الايمان وعلى صحَّة الكتاب الكريم مهما ثبت عن قدم بني البشر

ولاميز موناكو خدمٌ اخرى ادَّاها لترقية العلوم نوَّهنا بها قبلاً اخصُّها المعهد

الاوقياني الذي افرده لدرس اعماق البحار وما في غورها من المخلوقات العجيبة كالاصداف والنباتات والحيوانات فأوحى للعلم بعالم جديد لم يُعرَف منهُ الّا النزر القليل (اطلب المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٨١ و ٢٠٤)

وربَّما كشفت الحفريّات الارضيَّة عن حيوانات طُمست آثارها منذ قرون عديدة فمن ذلك وَزَل غريب الشكل يشبه التمساح بعظم جسمه ذكرهُ آخرًا الطبيعيُّون وزعموا انهُ كان يسكن الصحاري والمياه معاً كالتمساح

امَّا الجغرافية فان ما حدث في هذه السنين الاخيرة من التقلُّبات لم يسمح الى الآن بضبط حدود بلاد كثيرة. فهذه بلاد الاناضول وقيليقية قد أُعيدت الى تركية. وهذه ولايات عديدة كانت تُحصى في الامس من روسيَّة وهي تتحوَّل كلّ يوم الى احكام جديدة. وهذه جزائر بحر سفيد ارشك اليونان ان عدُوا عليها سيطرتهم. وهذه جزائر الانذ منحتها جمعيَّة الامم لانكلترَّة

٤ الآثار القديمة

منذ تحرَّرت سوريَّة وفلسطين من ربقة الاتراك وجدت الجمعيَّات العلميَّة تسهيلات جديدة للحفريَّات الاثريَّة. وكان في مقدَّمة اهتمامات الجنرال غورو والكولونل نورمان بعد دخول الفرنسويين في سوريَّة وقيليقية انشاء ادارة لجمع الآثار القديمة في متحفي بيروت وآطنة. وقد خصَّ الاثريّ الشهير المسيو پوتيه (M. Pottier) مقالة ممتعة بوصف متحف آطنة وما أُودع فيه من الآثار الهلنة او المتفرّقة كالنواويس والتماثيل والحرفيَّات والمدنيَّات منها اشوريَّة ومنها حثية او يونانيَّة او ارمنيَّة (١)

وهناك ايضاً عدَّة كتابات يونانيَّة ولاتينيَّة منقورة في الرخام وُجدت في طرسوس وقره‌طاش واطنة بعضها نصرانيَّة وبعضها وثنيَّة بينها آثار مدافن او اخصاب يتكثر فيها الاهلون لبعض كبار المأمورين او الاعيان وبينها ايضاً اعمدة لتعريف حدود البلاد. وقد شرح حضرة الاب رينه موتزد هذه النصوص وبيَّن فوائدها

امَّا متحف بيروت فقد شُهدت نظارتهُ الى الاثريّ المسيو ڤيرولو (M. Virolleaud) وقد جمع حتَّى الآن بعد سلفيهِ المسيو شامونار (M. J. Chamonard) والمسيو برونّي

(١) اطلب مجلة «Syria» ج ٢ سنة ١٩٢١ ص ٥٩١ – ٦٠٢

(M. Brossé) الوفاً من القطع الاثريّة من عهد الحثيين والفينيقيين واليونان والرومان لتُعرض في المتحف اذا ما تعيَّن لهُ معهدٌ واسع . وقد دخلت مجموعات كليتا الاثريّة وعددُها لا يقلّ عن بضعة الوف من القطع في جملة آثار المتحف وسوف تُعرض مع الدلالة على جامعيها

ولفتتُ نظر اهل بيروت خصوصاً الى مقالة مستجادة للمسيو دومنيل دوبويسون (Du Mesnil du Buisson) نشرها في مجلة (Syria) وصف فيها استحكامات بيروت القديمة في اطوارها المختلفة قبل عهد الصليبيين ثمّ في ايام تملُّكهم عليها ثمّ ابنية الامراء الدروز وخصوصاً ما يُنسب منها للامير فخر الدين قرقماز واخيراً الابنية الحديثة في دولة الاتراك وعلى الاخص بنايات احمد باشا الجزّار في اواخر القرن الثامن عشر . وقد شفع هذه الاوصاف بعدّة رسوم وتصاوير متقنة تساعد على ادراك تاريخ بيروت وتحصيناتها . فنشكر حضرة الكاتب على احيائهِ دفائن مدينتنا وكفى بمقالتهِ دليلاً على همّة الفرنسويين في درس آثارنا التي اخنى عليها الزمان وإبرازها الى عالم الكون بعد فنائها

ومما يستحقّ الذكر في هذا الباب ما اكتُشف في الحقبة الاخيرة في جبيل من الآثار المصريّة وقف على ثلث قطع منها حضرة الاب سبستيان رنڤال فاخذ رسمها الشمسيّ اخصُّها قطعتان من نصبَين اقام الواحد منهما رعمسيس الثاني وكان على الآخر اسم تحوتمس الثالث مع قطعة ثالثة تمثل تقدمة احد المصريين للالهة نبت «سيّدة جبيل» . وقد قرأ المسيو بياره مونته (P. Montet) هذه الكتابات الهيروغليفيّة التي وُجدت بين قلعة جبيل والبحر واستدلّ بها على وجود هيكل اقامهُ الفراعنة في تلك البلدة . ولم يخب ظنُّهُ فانهُ باشر هناك حفريّات اثبتت رأيهُ وافادت عن نفوذ مصر وماوكها ودينها في سواحل فينيقية . ولعلَّهُ يعود الى مواصلة حفرياته في فصل الخريف

ومما اكتُشفهُ في قصوبة في انحاء جبيل فصوّرهُ حضرة الاب رنڤال وفسّرهُ مذبح للزُّهرة بانكيّة وبقربها الاله اوزيريس على شبه الاجسام المصريّة المحنّطة وعلى صدرهِ صولجانهُ . وكانت اشراف ادونيس تُقام قريباً من جبيل على تلّ يشرف على البلدة

وفي هذه الايام الاخيرة ظهرت في جبيل بانهيار قسم من الارض قريباً من الميا

غربيّ القلعة مغارة فيها ناووس كبير مع عدّة اواني خزفيّة . وكانوا وجدوا قبل ذلك ناووسين آخرين

وقد سبق لنا ذكر المسيو أنلار (Enlart) وابحاثه الاثريّة في كنيسة طرطوسة التي بناها الصليبيّون . وقد سرّنا انّ فرنسة حصلت على هذا الاثر الجليل مع قصدها بان تعيده الى خدمة الدين وتسلّمه الى ارباب الطائفة اللاتينيّة

واما فلسطين فانّ عدّة جمعيات تتبارى فيها لاستخراج دفائنها الاثريّة وممّا وقفوا عليه في طبريّة جامع لليهود قديم يُنسب الى الربّان «ميت» وبقربه مقبرة . ووجدوا في كفرناحوم عند بحيرة طبريّة دارًا مثمّنة الزوايا مفروشة بالفسيفساء بجوار كنيس اليهود وقد توقّفوا في عسقلان الى اكتشاف آثار قصر لهيرودوس الكبير وجدوا كثيرًا من بقاياه الضخمة بينها الاروقة الفخمة والسواري والتماثيل والنقوش الهندسية وقد وجدت الجمعيّة الانكليزية في عسقلان آثارًا اقدم عهدًا ترتقي الى زمن الكنعانيين والفلسطينيين ومنها ما يُنسب الى اليونان والرومان وغيرهما اقرب الينا عهدًا من العرب والصليبيين .

ولحضرة الآباء الدومنيكيين اصحاب المدرسة الكتابيّة في القدس اهتمام عظيم بالعاديّات . وهذا ما دفع الحكومة الفرنسوية الى ان تعتبر رهبانهم كجمعيّة رسميّة تمثّل العلوم الاثريّة الفرنسوية في القدس الشريف وفي فلسطين . والحقّ يقال انهم لم يألوا جهدًا في تحقيق آمال دولتهم

ومما انجزوا من كشفه والاطلاع على آثاره في العام الماضي جامعٌ لليهود ذو ثلثة لسواق كان اليهود اقاموهُ بعد المسيح قريباً من اريحا في بلدة يدعونها نعرام وتُعرف اليوم بعين دوق . وقد وجدوا في صحنه فسيفساء جميلة عليها نقوش وكتابات عبرانيّة مع عدّة رموز وتصاوير من جملتها صورة منطقة البروج ومركبة عليها صورة الشمس وفي جوانبها رموز فصول السنة الاربعة ولاسيما صورة النبي دانيال في جب الاسود وكذلك وجد الآباء عدّة آثار مدفنيّة وخزفيّات في نابلس .

وقد اتمّ حضرة الابوين جوسن وسافنياك في العام الماضي طبع الجزء الثالث من رحلتهما الاثرية الى جزيرة العرب (Voyage Archéologique en Arabie) فوصفا احسن وصف ما وجداهُ من الآثار في ثلث رحل تجشّماها الى العرب في مدائن صالح

وفي الفُلى والخُرَيبة وفي تيماء فاخذا رسوماً فوتغرافية لنحو ٨٠٠ من الكتابات النبطية والحميرية واللحيانية والثمودية والعبرانية واليونانية والعربية بينها النقوش والصور المختلفة مما يأتي بفوائد عديدة لتاريخ قدماء العرب . وكثيراً ما خاطر الاخوان بحياتهما بين القبائل الشديدة التعصُّب فنجَوا بعد الجهد الجهيد . ومن جملة ما يستفاد من كتاباتهما اسماء بعض ملوك لحيان قبل المسيح كلودان ومسعود وغيرهما ووجدا ايضاً تمثالاً لملك لحياني طولهُ متران وربع . وورد كذلك في اعلام تلك الكتائب اسم «مثيل ملك ددان» . وددان علَمٌ ورد ذكرهُ في الكتاب الكريم

ومن جملة الاكتشافات الاثرية النصرانيَّة المعتبرة كنيسة العذراء في افسس حيث اجتمع الآباء للمجمع المسكوني الثالث سنة ٤٣١ فحرموا نسطوريوس واثبتوا ان مريم العذراء هي حقيقة امّ الله . وكانت هذه الكنيسة مطمورة تحت ابنية كنيستين احدث منها عهداً

ومثلها شأناً واعتباراً آثار مسيحية وُجدت حديثاً في اعماق الارض في رومية تحت كنيسة سان سبستيان حيث اجرى الاثريون حفريّات منظَّمة رجاء ان يلقوا شيئاً من آثار الرسولين بطرس وبولس اثباتاً للتقليد الشائع ان هناك قُبر هذان الرسولان . وقد اتت الحفريّات ببعض النتائج اذ وقفوا على عدَّة كتابات قديمة ورد فيها ادعية للرسولين الموأ اليهما واكتشفوا ايضاً هناك ثلثة نواويس عليها نقوش رائعة تفتن بجمالها البصر . ووجدوا في مكان آخر صور اثني عشر رجلاً في ايدي البعض منهم كتبٌ منشورة والظنون انهم الاثنا عشر رسولاً

وقد صرف فرنسوي آخر نظرهُ الى مآثر دمشق العربيَّة تريد بهِ المسيو دي لوره (M. E. de Lorey) فحرَّر في المجلَّة المذكورة مقالةً عن قبر سيدتين اشتهرت الواحدة في اوائل الاسلام اعني بها سُكينة بنت الحسين بن عليّ بن ابي طالب وتوفيت الثانية في اوائل القرن الخامس للهجرة اسمها فاطمة ابنة احمد بن الحسين بن السبطي وللسيدتين ناووسان الواحد من خشب الجوز والاخر من حجر عليهما نقوش عربيَّة بديعة وصفها للمسيو دي لوره مع المسيو غستون ڤيات (M. G. Wiet) وبيَّنا خواصها وميزاتها في التصوير العربي

٥ الكيميا والطبيعيات

انَّ الاختبارات التي أُجريت في المختبرات الكيمويَّة الكبرى في العناصر المشعَّة وبيان ما يطرأ عليها من التحوُّلات من عنصر الى آخر ادَّت باساطين علم الكيميا ان يغيِّروا رأيهم السابق في بسائط الاجسام وهم الآن يرتأون ان تلك الاجسام عينها مركَّبة من كُرَيَّات دقيقة يدعونها إلكترون تتركَّب منها كل الاجسام حسب اختلاف وضعها وعددها . وقد تأيد رأيهم بتحليل عنصر الاوكسيجين وكان سابقاً يُعَدُّ من الامهات البسيطة فثبت اليوم انَّهُ يتركب من دقائق أُخرى اخصُّها الهيدروجين الذي يُعتبر الآن كالعنصر الاصلي الداخل في تركيب كل الاجسام . ومن ثمَّ لم يعُد العلماء يستحيلون اصطناع ذهب صناعي . بل قام الكيموي هرتنغ فيشر الاميركي وبشَّر في بعض النوادي انَّ الامر تمَّ فعلاً وهو يعرف رجلاً (لم يصرح باسمه) توفَّق الى ذلك . وقيل انَّ الكيموي الاميركي ادَيسون وقف على هذا السرّ الذي كان سابقاً صرَّح باكتشافه فوُجد الخبر باطلاً (اطلب الشرق ١ [١٨٩٨] : ٥)

ومن المسائل التي تشغل اليوم افكار الدول مسألة البترول وتزاحم الدول في الحصول على ينابيعه . وقد طلبت الولايات المتحدة من انكلترَّة حصَّتها من ينابيع البترول العراقيَّة لتموين سفنها ومعاملها . ومن المعلوم انَّ الولايات المتَّحدة اغنى من سواها في استخراج البترول اذ انَّها تستخرج منهُ ما يساوي ٦٠ في المئة بالنسبة الى بقيَّة انحاء المعمور وهذه الكميَّة لا تكفيها لصناعتها وبحريَّتها فهي تبتاع من الخارج نحو الربع مما تنفقهُ

بلغ ترقي التلغراف والتلفون اللاسلكيَّين غاية ما كان يؤمَّل منهما فاصبح اليوم التلغراف اللاسلكي يضمُّ كلَّ اقطار العالم الى عواصم اوربَّة . فان لانكلترَّة محطَّات توقفها في لمحة عين عن كلّ اخبار مستعمراتها الدانية والقاصية دون اختلاف . وكذلك فرنسة قد وفَّرت محطَّاتها التلغرافيَّة اللاسلكيَّة ففي افريقية وحدها قد انشأت ١٣ محطَّة لتخابر سائر مستعمراتها .

اما التلفون اللاسلكي فالفضل في تحسينه خصوصاً لطبيعيَّين من دنيمرك بولسن (Poulsen) ثمَّ ديفورست (Deforest) فاستخدم الاوَّل ميكروفونا

مجهّزًا بمحرّك ذي تموّجات هرتسيّة متواترة ومتناوبة معاً . واخترع الثاني مصباحاً مثلث المجاري الكهربائيّة تمرّ تموّجات كهربائيّته في مشبّك معدني فتقوى بها بحيث يُسمع الصوت الى مسافات بعيدة . فانّ المندوبين الفرنسويين الى مؤتمر واشنطن امكنهم ان يسمعوا مخاطبيهم في باريس على بعد ١٢٠٠ كيلومتر . ولمّا أُقيمت حفلةٌ عظيمة في عاصمة فرنسة تذكاراً للعلّامة امپار تشنّفت آذان المجتمعين بصوت رخيم تغنّت به احدى السيّدات كأنها حاضرة في وسطهم فسُمع غناؤها على مسافة بعيدة من باريس

وقد استحقّ امپار في ذلك اليوم هذا الامتياز وهو الذي باكتشافه لنواميس الكهربائيّة المغناطيسيّة فتح للعلماء طرقاً جديدة مكّنتهم من الاختراعات التي قلبت وجه الامور . والسنة المنصرمة كانت المئة الاولى لهذا الاكتشاف العجيب

ومما افاده ترقّي التلفون اللاسلكي انّ راكبي الطيّارات يستطيعون الآن وهم في فضاء الجوّ ان يتحادثوا مع البرّ ويخابروا بعضهم بعضاً على مسافات بعيدة

وكذلك فنّ الطيران قد زاد ترقّياً في هذه المدّة الاخيرة سواء كان من جهة السرعة ام من جهة الارتفاع في الجوّ . فانّ الطيّار الفرنسويّ ليكوانت نال جائزة السرعة بقطعه في ساعة ٣٣٠ كيلومترًا اعني خمسة كيلومترات بنيّف في الدقيقة . وقطع آخر في نيم بدورة كبيرة ٢٫٩٠٠ كيلومتر في ظرف ٣٧ ساعة . أمّا جائزة الارتفاع فقد نالها الطيار كيرش اذ حلّق في الجوّ فبلغ الى علوّ ١٠٫٦٠٠ متر وكان راكباً طيّارة ذات محرّك قوّته ٣٠٠ حصان . وقد بلغ عدد المسافرين في الطيّارات لغايتهم التجاريّة في العام المنتهي نحو ٥٠٫٠٠٠ فلا تلبث ان تزاحم السكك الحديديّة

٦ الطب وعلم الصحة

بقي الطبُّ قروناً عديدةً صناعةً مبنيّة على الاختبار والتجربة الّا انّ هذا الفنّ يتحوّل من يوم الى آخر الى علم يستند الى علل راهنة ومبادئ ثابتة لاسيما منذ اكتشاف لويس پاستور للميكروبات والجراثيم المعدية . وممن افاد الطبّ من هذا القبيل العلّامة الفرنسويّ فرنان ڤيدال (F. Widal) الذي خصّ نظرهُ بالسموم ومفاعيلها في الجسم بتأثيرها في الخلايا . وقد تحقّق ان اغذية كثيرة وادوية متعدّدة تصبح في بعض الاحيان سموماً قاتلة ان لم تُراعَ قوانين الصحّة اذا تكرّر

استعمالها . فكانت هذه الابحاث كدليل لتشخيص عدّة امراض مجهولة تنبّه اليها فكر الاطباء

قد اصبح الراديوم من اكبر اسباب العلاج لم يكد يخلو معهد طبي في عواصم اوربّة من قسم خاصّ به . وقد افادنا حضرة الدكتور فيليب بركات عمّا شاهده بالعيان في باريس وبرلين من عجائبه في معالجة السرطان في كلّ مظاهره وفي مداواة الامراض الجلديّة والغُدد العنقيّة وتزيف الدم والتهاب الاعصاب وانواع الفالج . وقد دوّن ملحوظاته في عدّة فصول ممتعة في جريدة البشير الغرّاء . ويحسن بنا ان نزيد هنا ان مزاولة هذا العنصر مخطرة جدًّا ما لم يتّخذ الاطبّاء الاحتياطات اللازمة لدفع تأثيره في اجسامهم

والراديوم لا يزال اعزّ من بيض الديوك تساوي منهُ بعض الغرامات مبالغ طائلة لا تقلّ عن خمسة آلاف جنيه . ولمّا ارادت السيّدات الاميركيّات ان يودّعن مادام كوري بعد رحلتها الى اميركة لم يجدن هديّة اثمن من اتحافها ببعض مركّبات الراديوم في عُلب محكمة . وكذلك ابتاعت بلديّة باريس بمشورة مادام كوري بمليونين من الفرنكات غرامات قليلة من الراديوم . وقد ارادت جمعيّة باريس العلميّة ان تنظم مادام كوري في جملة علمائها الكبار وهي اوّل سيّدة نالت هذا الامتياز

وممّا يُشكر لفنّ الطيران في هذا الباب نقل الجرحى والمرضى بكل سرعة من ساحة القتال الى مستشفى مدينة قريبة كما جرى قبل ستّة اشهر لمّا نُقل الى حلب على اجنحة الطيّارات بعض الضبّاط والجنود المصابين بقتال اهل البادية في دير الزور فتمّ ذلك بما يُرام من السرعة والراحة للجرحى

وقد تبشّرنا الصُحف بعقد مؤتمر صحّي في فرسوفية عاصمة بولونية دُعيت اليه كلّ الدول في ١٢ ايّار المقبل

٦ . الزراعة

قد اثبت المسيو اوغست لوميار (M Lumière) في المجمع الفرنسوي العلمي انّ التربة الزراعيّة تصلح للاستغلال في كلّ فصول السنة حتى في فصل الشتاء اذا سقاها الزارع بمياه معقّمة تلاشى ما فيها من الجراثيم الضارّة

وبيَّن الدكتور ميزونڤوف (Dr Maisonneuve) انَّ البطاطا مثمرةٌ سواء زُرعت الواحدة منها تامَّة ام قطعاً مع وجود عين لكل قطعة

وضع المسيو پلاسي (M. Plessy) اداةً خاصة لرش أوكار الجُلَّد وثقوب المالوش والحشرات القارضة للنبات بالحامض السولفوري فتُقتل به لا محالة

وتقفنا على احصاء غلَّات فرنسة من القمح والشعير في السنة ١٩٢٠ فاذا بهما قد زادا زيادة عظيمة كما ترى:

		القمح		الشعير
السنة	١٩١٩	٤٩،٦٥٣،٣١٠	قنطار	٢،٧٠٧،٣١٠ ق
»	١٩٢٠	٦٢،٧٠٦،٢٧٠	»	٤،٩٩٩،٨٤٠ »

فتكون زيادة القمح ٢٦ بالمئة والشعير ٦٥ بالمئة. وكذلك السكَّر بلغ مجموع ما استُخرج منهُ في السنة ١٩٢٠ ٥،٠٠٠،٠٠٠ ٣،٦ طنّ بزيادة ١،٧٧٧،٠٠٠ على العام السابق ولالمانية السبق في اصطناعهِ (١،٣٠٠،٠٠٠ طنّ) ثم النمسة والمجر (٦٠٠،٠٠٠ ط) ثم فرنسة (٣٠٠،٠٠٠ ط)

٧ التجارة والصناعة

لا تزال احوال العالم مضطربة لأزمتهِ الاقتصاديَّة. وما هذه الَّا ثمرة الحرب التي زعزعت اركان الدول فلا عجب أن بلغت مفاعيلها السيئة بلادنا. ونحنا من هذا القبيل افضل من غيرنا. وما لا ينكرهُ احد ان الدولة الفرنسويَّة تسعى طاقة جهدها في تخفيف وطأتها الثقيلة بنقل اسباب المعاش من اوربَّة واميركة واوستراليا وبتحسين طرق المواصلات بين انحاء البلاد بالسكك الحديديَّة وبالاسفار المنظَّمة بالسيَّارات الى دمشق وطرابلس وبنقل البريد بالطيَّارات في جهات البلاد كاللاذقيَّة والاسكندرونة ودمشق وحمص وحلب ودير الزور. وما كانت الغاية من انشاء معرض بيروت الَّا ترويج التجارة السوريَّة (اطلب مقالتنا عن هذا المعرض في المشرق ١٩٢٠ ص٥٢٧—٥٣٧)

ومما يحقّ على السوريين ان يشكروا عنهُ فرنسة انَّها دعت السوريين الى الدروس

التجاريَّة العليا في الفرع المختصّ بها في باريس فيتدرّبوا على كلّ قوانينها وآدابها النظريّة والعمليّة. كما انّها وكلت الى ادارة الزراعة بافادة العموم عن كلّ الوسائط الآئلة لتحسين التربة واستثمار الغلّات ونصب الاشجار

قد زادت التجارة البحريَّة ترقّياً في العام الماضي وقد رجعت المانية الى حركتها السابقة بتنظيم شركاتها. وقد سعت بعض الدول بتعويم ما أُغرق من سفنها في الحرب فانَّ ايطالية عوّمت في ١٢ ك٢ مدرّعتها العظيمة «ليوناردو دي ڤنسي» التي غاصت في اعماق البحر بانفجار اصابها في ٢٣ ت١ ١٩١٦ وكذلك انكلترة تمكّنت من تعويم بارجتها «ڤنديكاتيف» وكانت سدّت بها الطريق عن السفن الالمانيَّة في مرفأ اوستند

امّا فرنسة فانّها انزلت الى البحر في مرفا «هاڤر» ابدع سفنها التجاريَّة «باريس» في اواسط حزيران وهي طرفة من الصناعة العصريّة فاقت بها على كلّ سواها اجتمع لتعميرها اساطين العلم فجاءت كمدينة جارية على سطح البحار وهي خاصّة الشركة ترنسآتلنتيك طولها ٢٣٤ متراً في عرض ٢٦ في مثله علواً تبلغ ١١ طبقة يقوم بخدمتها ٦٦٤ بحرياً وتكفي لنقل ٣٢٠٠ راكب وتقطع في الساعة ٢٢ عقدة وقد أُعدّت للتجارة بين فرنسة والولايات المتّحدة. لها ادوات محرّكة تبلغ قوّتها ٤٦٫٠٠٠ حصان وهي تجري بوقود المازوت. وقد جُهّزت بكل الاختراعات الحديثة من تلغراف لاسلكي وتلفون لاسلكي وكل معاهد اللهو والراحة. وفي وسط المركب معبد للصلاة يقدّم فيه الذبيحة الالهيَّة كاهن خصوصي كل يوم. فبارك الله هذا العمل واصحابهُ

ومن هنا ترى انَّ الدول اخذت تعدل في وقود سفنها عن الفحم الحجري الى البترول والمازوت. وقد جاء في الاحصاء التجاري الاخير انَّ عدد السفن التي تستوقد المازوت بدلاً من الفحم كانت سنة ١٩١٩ في عدد ١٢٠٠ فبلغت في السنة التالية ٤٫٢٠٠ فالمازوت يفضّل على الفحم من حيث ثمنهِ الارخص وسهولة نقلهِ وقلّة المكان الذي يشغلهُ في السفينة

كنّا رأينا سابقاً في مرفأ بيروت سفناً روسيَّة وايطاليَّة عُرضت فيها محصولات بلادهما لترويج بضائعهما. وقد قرأنا مؤخّراً ان الفرنسويين في بلاد كندا اتّخذوا قطارات من سكة حديدها ليعرضوا فيها مصنوعات فرنسة. فنجح هذا المعرض اي نجاح

ومن افادات الاحصاءات الرسميَّة في فرنسة ان الدولة باحتكارها التبغ بأصنافه حصلت على ربح ٨١٦،٠٠٠،٠٠٠ فرنك ... ما أربح الدخان !

٨ التهذيب والعلوم الادبيه

أحيا البولونيُّون كليتهم الجامعة الوطنيَّة في حاضرتهم الشهيرة ڤيلنا . وهي من اقدم المدارس الاوربيَّة المنشأة في القرون الوسطى كان يتخرَّج فيها الوف من الطَّلبة على عهد ملوكها . وكان الملك لادسلاس جاجلّان حبس عليها الاوقاف الوافرة سنة ١٣٨٢ وانشأ ملكُها اسطفان باطوري جمعيَّة علميَّة اضافها اليها سنة ١٥٧٨ فاصبحت مهدًا لرجالها الكبار . الَّا انَّ قياصرة روسيَّة لم يزالوا يعادونها حتَّى الحقوها بالدوما . بغضاً بتشبُّث اصحابها بالدين الكاثوليكي

وقد احتفلت كليَّة مونپليه في فرنسة بتذكار المئة السابعة لانشائها فأقيمت لذلك اعياد شائقة تصدَّر فيها رئيس الجمهوريَّة المسيو ميلران والكردينال المتوفَّى حديثاً ده كابوپار اسقف المدينة . وهذه المدرسة من اقدم المدارس الطبيَّة في اوربَّة . لم ينتظم تعليمها الَّا السنة ١٢٢٠ بهمَّة الكردينال كوزاد مندوب البابا هونوريوس الثالث الذي وضعها تحت حماية الكرسي الرسوليّ . وقد خصَّها الباباوات بانعامات شتَّى وجعلوا لها قوانين خاصَّة ضمنت نجاحها في تلك المدَّة الطويلة . فالى الكنيسة يعود معظم الفضل في ترقيتها وفي تهذيب عدد لا يُحصَى من اطبَّائها وجرَّاحيها

وفي ٢٨ تموز وُضع في لوڤان بحضور الملك والملكة والكردينال مرسيه الحجر الاول لمكتبة لوڤان التي أحرقها الالمان . وقد دُعي الى هذه الحفلة مندوبو الدُّول المتحالفة الذين اطرأوا على شهامة البلجكيين في مدَّة الحرب الكونيَّة واسفوا على ما اصاب بلادهم من الدواهي لمروَّتهم ووفائهم

وفي ١١ شباط من السنة الفائتة احتفل علماء فرنسة والاثريُّون المصريُّون بتذكار السنة المئة لمولد ماريت بك الذي اكتشف كثيرًا من العاديَّات المصريَّة ونهج طرقاً جديدة لترقية العلوم الاثريَّة في بلاد الفراعنة

وفي اوائل آب اقام الاميركيُّون في واشنطن تمثالاً عظيماً للشاعر الايطالي الشهير دانتي بمناسبة تذكار المئة السادسة لوفاته وقد ترأس الحفلة الرئيس هاردنغ ووجوه البلاد

مطبوعات شرقية جديدة

THE DIWÂN OF DHU'R-RUMMAH, edited by C. H. H Macartney *Cambridge at the University Press.*, 1919, XXXIII-676

ديوان ذي الرمّة

هذه احدى تحف كلّية كمبريج انتهت من طبعها في مطبعتها الشهيرة السنة التابعة للحرب فاخرجتها على صورة مناسبة لمقامها فلم تذخر وسعاً في اتقان طبعها . ولا غرو فان ذا الرمّة احد شعراء طور الاسلام الاوّل عاش في زمن بني اميّة يسكن البادية ويتردّد الى حواضر البلاد كالبصرة والكوفة ودمشق وينشد قصائده فيها . وشعره مطبوع اقرب الى شعر الجاهليّة حتّى انّهم قاسوه بشعراء الاسلام الثلثة الكبار جرير والاخطل والفرزدق . قال ابو عمرو بن العلاء : انّ الشعر ابتدأ بامرئ القيس وانتهى بذي الرمّة . ولذلك ترى اهل اللغة واصحاب المعاجم يستشهدون بأبياته ويسندون اليه شروحهم . وقد اهتمّ قدماء الرواة كالاصمعي وابن الكيت والشيباني بجمع ديوانه الذي منهُ عدّة نسخ في لندن في المتحف البريطاني ومكتبة ليدن الشهيرة والمكتبة الخديويّة والمكاتب الخاصّة . وفي مكتبتنا الشرقيّة نسخة بديعة بخطّ المرحوم رزق الله حسّون . على انّ هذا الديوان مع عظم شأنه لم يُنشر حتّى الآن بالطبع . فقام احد المستشرقين الانكليز من علماء كلّية كمبريج الاستاذ ماكرتني فراجع كلّ النسخ المخطوطة السابق ذكرها ومنها ما يرتقي الى القرن الخامس للهجرة فقابل بينها ونشر ما وجدهُ فيها من القصائد الطوال والمقاطيع الصغيرة والشروح اللغويّة على ابياتها . ونقل كذلك ما وجدهُ من شعر ذي الرمّة متفرّقاً في كتب الادب والمعاجم المطبوعة والمخطوطة ما يربي عددهُ على مئة تأليف فألحقهُ بطبعته ودوّن الروايات المختلفة في ذيل الكتاب بالدلالة على مظانّها . وختم ذلك بفهرسين حسنين لأعلام الرجال والقبائل والامكنة مع عدّة اصلاحات وزيادات . فترى ما لناشر هذا الديوان من الفضل العظيم ونفثة القلم . وهذا ممّا يشفع ببعض الاغلاط التي وقعت فيه فأُصلح بعضها ولم

يُصلح البعض الآخر. فانَّ البيت الحادي والعشرين في الصفحة ٣٢٨ مختلّ الوزن . وهي «السانحات» لا «السانجات» (ص٦٦٤) . وهي «لم أَنسَهُ» لا «لم أَنسَهِ» (ص ٦٧٠) . وكذلك فيها «تُظهِرُ» لا «تُظهِرُ» . وممَّا كنَّا نتمنَّى ان نجدهُ في مقدِّمة هذه الطبعة خلاصة اخبار ذي الرُّمَّة عن الاغاني وكتب غيرها فانَّ كثيرًا من مشاكل الديوان تنجلي بذكرها . وعلى كلّ حال نوصي كلّ محبّي الآداب العربيَّة ان يزينوا مكاتبهم بهذه الطرفة الادبيَّة ل . ش

Cruveilhier (P.): Les Principaux résultats des nouvelles fouilles de Suze. In-12, pp. IX-154, *Paris, Geuthner*

اخصّ نتائج الحفريّات الجديدة في شوشن

كان حضرة الكاهن كروثيليه احد متخرجي مدرسة القدس الكتابية اختصر في مجلّة الاكليروس الفرنسوي (١٩٠٩-١٩٢١) تاريخ حفريّات البعثة الفرنسوية في شوشن الى السنة ١٩١٢ . وكان المتولي نظارة هذه الحفريّات المسيو دي مورغان بمساعدة بعض الاثريين الذين كان في جملتهم المسيو پيزار (M. Pézard) المتقلّد حاضرًا نظارة حفريّات تلّ نبي مَند جنوبيّ حمص . فاضطرَّت تلك البعثة الى إهمال العمل حيث قدَّم الناظر المذكور استعفاءهُ . فلبث الاب شيل الدومنيكي احد اعضاء جمعيَّة الكتابات تزيل باريس ومفتّش شريعة حمورابي المكتشفة في شوشن أن خلف المسيو دي مورغان وواصل الحفريّات التي دُوِّنت نتائجها في المجلّد الرابع عشر من مذكّرات البعثة الاثريَّة في العجم . فعاد الكاهن كروثيليه واستلّ خلاصة تلك الاكتشافات فنشرها اوَّلاً في المجلّة السابق ذكرها ثم جمعها في كتاب على حدة تسهيلاً لمراجعتها . وقد صدَّر تأليفهُ بنظر عامّ في حالة الحفريّات المذكورة الى سنة الحرب ١٩١٤ ثمّ استقرى معلوماتها فدوَّنها في فصول مختلفة كالتاريخ والدين والفقه والمجتمع الانساني واللغة وذلك بطريقة قريبة المنال توفر على الباحثين عن آثار الشرق زمناً ثميناً . ولهذه الآثار فائدة عظمى ليس فقط للوقوف على تاريخ الامم الشرقيَّة المدنيّ ولاسيَّما العيلاميين الذين سبقوا الفرس ولكن ايضاً على تاريخ الاديان في اقصى طبقاتهِ لانهُ في شوشن اطَّلعوا على اقدم ما يُعرف من الآثار الدينيَّة السابقة لآثار ما بين النهرين . فنوصي القرَّاء العالمين والاكليروس بمطالعة هذا الكتاب فهو كمقدِّمة لحفريّات

جديدة ستستأنف قريباً ومفيد جدًّا لحلّ عدَّة مشاكل كتابيَّة. ونقترح على بعض اهل الغيرة كحضرة الاب بولس سلامه خرّيج مدرسة الآباء الدومنيكان والشغوف بمحبَّة الآثار ولاسيَّما شرائع حمورابي ان يعرّبوا هذا الكتاب او ينشروا كتاباً في معناه يشمل كلّ حفريَّات شوشن منذ اوَّلها الاب سبستيان رزقال

Comte de Gobineau : Souvenirs de Voyage. 1 *vol. in*-16. *Paris*, 1912. *Prix* 6f.,75

ذكرى اسفار الكونت دي غوبينو

الكونت دي غوبينو احد رجال فرنسة السياسيين الذي مثّل وطنهُ في عدَّة بلاد في اوربَّة ثمَّ في اثينة والعجم كانت وفاتهُ في تورينو سنة ١٨٨٢ . لهُ عدَّة تآليف كتاريخ العجم ووصف بعض البلاد. وكتابهُ الذي نحن في صددهِ من اجود تآليفهِ اظهر فيهِ ما طُبع عليه من رشاقة الانشاء ودقَّة النظر في تعريف عادات البلاد الاجنبيَّة . وهو يحتوي ثلث روايات الأوليان منها في بلاد اليونان والثالثة في كاريبو في الارض الجديدة. وكلّها تدلّ على حسن ذوق وتفنّن في الوصف لاسيما الرواية الثانية التي دعاها «اكريثي فرونتوبولو» لولا انَّ بعض هذه الاوصاف مخلَّة نوعاً بالآداب

الاب ج . لوقنك

E. Prévost: 1°) L'ARMISTICE, *poème dit à la Comédie-Française. Une plaquette de luxe chez Jouve, rue Racine*, 15, *Paris*, *Prix* 1f,50 = 2°) L'AME INCLINÉE. *Un vol. in*-18, *ibidem*. 3f, 50

منظومات فرنسوية : الهدنة . النفس المنحرفة

المسيو بريفو شاعرٌ عصري يستحبُّ القرَّاء قصائدهُ. وهذه المنظومات الجديدة من جيّد شعرهِ . فالمنظومة الاولى يصف بها الهدنة بعد الحرب الكونيَّة فضمَّنها كلّ العواطف البهجة ووصف ما شمل الناس من الفرح بهذه البشرى حتى يكاد شعرهُ يستفزُّ القلوب برقَّتهِ وسلاستهِ. واما الثانية فمجموعة قصائد عن الحرب انشدها بمناسبة بعض الحوادث التي جرت وقتئذٍ في ساحة الوغى منها مديح ومنها رثاء ومنها حماسة وكلها موسومة بسمة الوطنيَّة الصادقة ج . ل .

وجدان لا سياسة

للاستاذ حبيب اسطفان « الخوري يوسف اسطفان» سابقاً

طبع في مطبعة الهدى في نيويورك سنة ١٩٢١ (ص ٢٠٧)

اطّلعنا على هذا الكتاب وما تضمّن من الخطب المختلفة في الحوادث الجارية حالاً في العالم ولاسيما في سورية ولبنان فوجدنا الخطيب ذا عارضة يحيط علماً بالسياسة العصريّة وبأمور بلاده فينتقدها بلهجة حرّة وان كان في بعض ارائه ما لا يوافقهُ عليه كثيرون لما فيه من التطرُّف . على اننا مع اقرارنا بما يحتويه الكتاب من الصفات الحسنة لا يسعنا الّا ان نأسف على حالة كاتبه فقد عرفنا «الخوري يوسف اسطفان» سابقاً كاهناً ورعاً ومرشداً للنفوس ورفيقاً للسالكين على مشانق الظلم وواعظاً مصقعاً فاين ذاك من « حبيب اسطفان » وتبذُّلهِ في دمشق ومصر واميركا وخطبه على المسارح في امور الدنيا وسياستها . أفيا تُرى الى هذا أدّت دروسهُ الاكليريكيّة في رومية وتهذيبهُ الكهنوتي وامل طائفته فيه فندعو الى الله كي يرشدهُ الى ما فيه صلاح نفسه وخير وطنه

ل . ش

ترقّي الصغار في دروس الاستظهار

الجزء الاول . جمعهُ وعلّق حواشيه يوسف صقير

طُبع في بيروت بمطبعة الادب سنة ١٩٢٠ (ص ٤٦)

كرّاس صغير للمكاتب الابتدائيّة ضمّنهُ صاحب مكتبة المدارس الاديب يوسف افندي صقير نحو اربعين قطعة من النثر والنظم ليستظهرهُ الاحداث . فدلّ بانتخابه لهذه القطع على حسن ذوقه واطّلاعه على الآثار القديمة والحديثة . وألحق كلّ قطعة منها بشرح الالفاظ الغامضة وبايضاح نتيجتها الادبيّة ليشحذ بذلك ذهن الصغار . وهذا المجموع مزيّن بالشكل الكامل الّا انهُ قد وقع في التشكيل عدّة اغلاط ينبغي اصلاحها في طبعة ثانية نذكر بعضها للافادة (ص ٤) حافِظُوا (ص ٧) أدعى حليماً (ص ١٠ ١٦) هما — تحيلُ (ص ١١ ١) منها (ص ١١ ٥) ورَجاءً (ص ١٤ ١١) أنفقُ

(ص ١٥٣) المُهاجرة (ص ١١٧) وكُلّ الخلق (١٣ ١٧) عديمُ الاصل (١٥ ١٧) يَشفي (١٧ ١٧) يُقيتُ الخ

﴿ نشرة الاحد ﴾ هذا أوّل اثر نعرفهُ صدر في رأس العام الجديد في بغداد من المطبعة السريانيّة الكاثوليكيّة التي استقدمها سيادة المطران اثناسيوس جرجس دلّال لنشر المبادئ الصحيحة وخدمة ابناء الوطن العزيز. وقد باشر سيادتهُ بهذه النشرة التي عهد بادارتها الى حضرة الخوري عبدالاحد جرجي. وهي نعم الباكورة لخدمة الدين والادب نتمنّى ان يَنعم بقراءتها جميع الكاثوليك في بغداد ويقدّسوا بها يوم الربّ. وستنشر في كلّ اسبوع وتودع مواضيع شتّى دينيّة علميّة تاريخيّة اجتماعيّة. اخذ الله بيد منشئيها

﴿ ما لي جَلَد ﴾ خطاب اخلاقي القاهُ الاديب جرجي افندي نقولا باز في حفلة جمعيّة البرّ سنة ١٩٠٧ فنشرهُ على حدة في مطبعة القديس جاورجيوس تقريباً لفوائده وغايتهُ ان يستنهض همم كل من يتبرّم عن العمل سواء كان في خدمة الدين ام العلم ام الوطن. فعسى ذوي الخمول والغفلة يرتشدون بهذه النصائح فيقرنون العمل بالقول

﴿ الانوار ﴾ باشر يوسف افندي الحاج في العام الماضي بنشر الوقائع الماسونيّة فرأى ان سوقها قليلة الرواج وعدل عن ظلمة الماسونيّة الى « الأنوار » فجعلها لسان حال الاحرار « ونشرها في دمشق والشام. وقد اجبنا الاستضاء بهذه الانوار الجديدة فتحققنا انّ الظلمة الماسونيّة لا تزال تخالطها وسمعنا جعجعةً كبيرةً ورأينا طحناً قليلاً الّا ما كُتب بقلم بعض الادباء. وكفى لكشف هذه الانوار فصل صاحبها المعنون بفيلسوف سوريّة اراد به امين الريحاني الذي رفعهُ فوق الثريّا وهو اخو ڤولتير ونصير الالحاد والزندقة كما بيّناهُ سابقاً (راجع المشرق ١٣ [١٩١٠] : ١٠٤٤ و ٣٨٩ و ٤٧٧ و ٧٠٣)

شذرات

﴿آخر ساعات رسول السلام﴾ كان السيد الذكر البابا بندكتوس الخامس عشر عظيماً في حياته ولعلهُ اعظم منهُ في مماته . كان وعد في الاسبوع السابق لموته ان يذهب باكراً في الساعة الخامسة صباحاً فيزور مأوى الكهنة العُجَز الملاصق للفاتيكان ويقدم الذبيحة في معبدهم . وكان ذاك النهار كثير الامطار شديد البرد فاراد البعض ان يثنوهُ عن عزمه فأبى الّا ان يقوم بوعده فكان ذلك سبباً لما نالهُ من الاحتقان الدماغي الذي أودى بحياته . وكان آخر ما فاه به لسانهُ المبارك انهُ يقدّم حياتهُ ضحيّة لله ليلتمس من ربه السلام للعالم . فأكرم به شهيد المحبّة وضحيّة الخير العمومي

﴿المناشير الرعويّة للصوم المبارك﴾ اطّلعنا على اربعة مناشير رعويّة اصدرها بمناسبة الصوم الاربعيني نيافة القاصد الرسولي السيد الجليل فريديانو جانيني والسادة رؤساء اساقفة بيروت وطرابلس ودمشق على الموارنة . وكلُّها مملوّة من التعاليم الخلاصيّة والحكم الدينيّة الموافقة للاحوال الحاضرة فانَّ نيافة القاصد الرسولي اوضح بأبلغ كلام واجلى برهان كلّ حسنات الدين الكاثوليكي للنظام البشري وللهيئة الاجتماعيّة وتخطّى من ايضاحها الى واجبات الكاثوليك في سوريا نحو وطنهم ولاسيّما في الانتخابات الموشك وقوعها ليختاروا مندوبين فضلاء ذوي دين ونزاهة لادارة امور الوطن . وقد اختار سيادة المطران اغناطيوس مبارك لارشاد رعيته موضوعاً ذا شأن اي «الرقيّ الحقيقي بواسطة الحياة المسيحيّة» فبيّن لهم على اي شيء يتوقّف الرقيّ الحقيقي الذي يحصرهُ الملحدون والجهّال في الامور المادّية وجمع الخيرات الزمنيّة واحراز العلوم الطبيعيّة وهم يبعدون عن الدين وسعادة الانسان بممارسة الفضائل المسيحيّة فتؤدي بهم مبادئهم الفاسدة الى كلّ المنكرات والى تقويض اركان الهيئة الاجتماعيّة . فشتّان بين هذه الآراء السيّئة وتعاليم الدين المسيحي الذي يولي صاحبهُ سعادة الدارين . ثمَّ عدّد سيادتهُ كيف تقوم الحياة المسيحيّة في الافراد والعيال وتربية الاولاد والحياد عن كلّ اباطيل العالم وملاهيه القبيحة وازيائه الشنيعة وخدمة الوطن بتضحية المصلحة الشخصيّة للخير العمومي = وارشد سيادة مطران

طرابلس السيد انطون عريضة شعبهُ الى طريقة الخلاص والشروط الواجبة على من يريد الحصول عليهِ وذلك بالمسودَّة والفضائل اللاهوتيَّة الثلث وممارسة الفرائض التي اوقفنا عليها ديننا نحو الخالق ونحو القريب ونحو نفسنا — ورأى سيادة مطران دمشق السيد بشاره الشهالي ان يسدّ خللًا كبيرًا في حياة المسيحيين حاضرًا الذين يُقبلون على درس اللغات والمعارف البشريَّة ويهملون اعظم واشرف التعاليم وهو التعليم الديني الذي ينير عقل الانسان ويسموُ بهِ الى ما فوق طبيعتهِ ويشدّد ارادتهُ فيقوى على كبح الشهوات ويسند الانسان في جهاد الحياة. ومن ثمَّ حرّض الوالدين على افراغ وسعهم ليطبعوا في قلوب اولادهم الحقائق الدينيَّة وخوف الله. فترى ان هذه الرسائل الرعويَّة تؤول كلها الى توطيد اركان الروح المسيحيّ التي يتهدّدها التمدن العصري الموهوم

﴿الاتحاد الكاثوليكي لدرس المشاكل الدوليَّة﴾ في السنة المنصرمة في ١٢ الى ١٤ نيسان عُقد لثاني مرَّة مؤتمر الاتحاد الكاثوليكي لدرس المشاكل الدوليَّة. والاتحاد المذكور عبارة عن جماعة مؤلفة من اعضاء كاثوليكيين من جميع البلاد انشأها بعض العلماء من كليَّة فريبورغ الكاثوليكيَّة في سويسرة. رئيسها المحامي البارون دي مُنتيناخ (B^on de Montenach) ينتظم في سلكها رجال من كبار العلماء من اثنتي عشرة دولة. وقد بحثوا في مؤتمرهم الاخير عن اخصّ المشاكل التي تفرق اليوم الدول وطلبوا لها حلًا صوابيًا مبنيًا على الادلَّة العقليَّة الفلسفيَّة والبراهين الدينيَّة الصادقة. فكان لنشر اعمال هذا المؤتمر تأثير عظيم في عقول ارباب السياسة. ويحسن بكاثوليك الشرق ان ينضمّوا الى هذه الجمعيَّة التي تفضل على كل عصابات الامم وتقلُّباتها. وهذا عنوان كاتب سرّ الجمعيَّة:

M. J. Gremaud, professeur au Collège S^t Michel
(*Fribourg*) Suisse

﴿البابا حنَّة وجريدة لاسيري﴾ اثبتنا في العام الماضي (الشرق ١٩٢١ : ٨٥٤—٨٥٩) مقالة في خرافة البابا حنَّة وبيَّنا بشواهد اعداء الكنيسة نفسهم انَّها احدى الاراجيف التي ليس لها ادنى نصيب من الصحَّة فتعجَّبنا كيف انَّ جريدة لاسيري (la Syrie) عادت الى ذكرها في احد اعدادها بنسبة وفاة البابا بندكتوس الخامس عشر.

ألا يخجل محرّروها ان يحيوا مثل هذه الترّهات ويهرفوا فيما لا يعرفون . فليردّوا على براهيننا ان امكنهم

﴿وفاة سيّدين وكاهن فاضل﴾ فُجعت الطائفتان الكريمتان من الروم الكاثوليك والارمن بفقد سيّدين جليلين من افاضل اساقفتهما: المطران اغابيوس معلوف اسقف بعلبك وهوسيك كوليان رئيس اساقفة ماردين. انتقل الاوّل الى جوار ربهِ منتصف ليل الاحد ١١ شباط الماضي في زوق ميكائيل . ولد في ٩ ايّار سنة ١٨٤٧ ثمّ رُقّي الى كرسي بعلبك في ٢٩ آذار ١٨٩٦ فكان افضل راعٍ لابرشيّتهِ قاسى في سبيلها عدّة اوجاع لاسيّما في مدّة الحرب الكونيّة فكان لوفاتهِ صدى حُزن شديد في قلوب ابنائهِ بل في قلوب كلّ الذين عرفوهُ من الاخوة المنفصلين والمسلمين والمتاولة الذين حضروا جميعهم حفلة جنازتهِ وبكوا عليهِ بكاءهم على اعزّ الاقارب وأشادوا بعميم فضلهِ . وقد عرفت لهُ فرنسة خاوص محبّتهِ نحوها فجازتهُ بوسام جوقة الشرف — اما السيد كوليان فكان مولدهُ في ماردين في ٥ ايّار سنة ١٨٤٠ وسيم رئيس اساقفة وطنهِ على طائفتهِ الارمنيّة في ٨ ايلول سنة ١٩٠٣ فرعاها سبع سنوات بنشاط وحكمة بعد ان خدمها سنين عديدة بصفة كاهن تقيّ غيور . الّا انّ انحراف صحّتهِ حملهُ على طلب الاستعفاء سنة ١٩١٠ فاعتزل في دير بزمّار منقطعاً فيهِ للعبادة ولكل الفضائل الكهنوتيّة مع ترجمة الكتب المفيدة من الايطاليّة والعربيّة الى اللغة الارمنيّة . وهو لم يَنْسَ ابناء طائفتهِ البؤوسين الذين قُتل منهم كثيرون شهداء ايمانهم ونُفي غيرهم الى اماكن شتّى فكان يرسل اليهم المساعدات على قدر استطاعتهِ . كانت وفاتهُ يوم السبت ١٨ شباط . = ومنّ استأثرتهم رحمة الله في اواسط شباط ايضاً مرسلٌ غيور ذو شهرة واسعة الخوري الاسقفي اسطفان الشمالي عن ٨٥ عاماً قضاها بممارسة كلّ اعمال الرسالة في سائر ابرشيّات الطائفة المارونيّة حيث لا يزال ذكرهُ حيًّا . وقد امتاز بمعارضتهِ وبلاغتهِ في الوعظ وسرعة خاطره كما تشهد عليهِ الخطب التي نشرها بمساعدة الطيّب الذكر المطران جرمانوس الشمالي في جزئين فراجت سوقها اي رواج ونفدت نسخها بوقت قريب(١ .

(١) اطلب ترجمة حياة المطران جرمانوس الشمالي بقلم نجيبه المفضال الخوري بشاره الشمالي مطران دمشق حاضراً في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٨٥٠-٨٥٦) :

اجزل الله جزاء ذاك العالم العامل في رحيب جنانه

﴿احصاءات الجزائر وتونس والمغرب﴾ احصت فرنسة في العام الماضي اهل مستعمراتها في شمالي افريقية فكانت نتيجة احصائها اوّلاً للجزائر انّ عدد اهلها يبلغ ٤٤٢٤٩٧١ من الوطنيين ثم ٨٣١٠٤٠ من الاوربيين اكبر مدنها الجزائر (اهلها ١٩٥٦٥٥) ثمّ وهران (١٣٨٢١٢) ثم قسطينة (٧٣١١٦) وبونة (٤١٧٧٧) وتلمسان (١٠٧٧٥). ويبلغ اهل تونس ٢٠٩٣٩٣ الاوربيّون بينهم ١٥٦١١٥ اكبر مدنها تونس عاصمتها اهلها ١٧١٦٧٧ الاوربيّون بينهم ٧٣٤٧٢ ثمّ سفاقس سكّانها ٢٨٠٣٣ ثمّ بيزرت (٢٠٥٠٩) ثم سوسة (١٩٧٩٩) ثم قيروان (١٩٣٨٩) = امّا اهل مرّاكش التي بسطت عليها فرنسة حمايتها فيبلغ عددهم نحو ٤٠٥٠٠٠٠ يضاف اليهم خمسمائة الف في المنطقة الاسبانيّة. اكبر مدن ذلك القطر: مدينة مراكش اهلها ١٠٢١٠٧ الاوربيّون بينهم ٢١٧. ثمّ فاس ٧٠٥٣٩ منهم ٢٢١٨ اوربيون. ثم مكانس (٣٦٥٩٨) ثمّ رباط الفتح (٢٩٥٦٢). امّا المنطقة الاسبانيّة فاكبر مدنها الدار البيضا. (كازا بلنكا) ١٠١٦٩٠

﴿اصحاب الفيل﴾ بين سُوَر القرآن سورة تُدعى بسورة الفيل وهي المائة والخامسة منها: اوّلها «ألَمْ تَرَ كيف فَعَلَ ربُّكَ باصحاب الفيل» وفي هذه السورة اشارة الى محاربة الحبش لمكّة. ولمفسّري القرآن آراء غريبة في هذا الفيل الذي دعوهُ محمودًا وروَوا عنهُ عجائب غرائب. وقد وقفنا على مقالة مستجادة نشرها السيو كنتي روسبني في عدد تمّوز الاخير من المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة حلّ فيها عدّة مشاكل من تاريخ الحبش وغزواتهم لبلاد العرب. من جملتها (ص٢٨—٣٢) ذكر «الفيل» المشار اليه في السورة القرآنيّة فبيّن انّ الفيل لا يزاد به الحيوان المعروف وانّما هو لقب احد ملوك الحبش الذين غزوا بلاد العرب في القرن الثالث للمسيح وقد وجدوا له نقودًا ذهبيّة ونحاسيّة مكتوب عليها باليونانيّة «افيلاس ملك اكسوم» فسمّاهُ القرآن بالفيل وذكر اصحابهُ ثمّ اشتبه الاسم على العرب ومفسّري القرآن فظنّوهُ الحيوان. ومعلوم انّ الفيلة لم تستطع السكنى في جزيرة العرب. ومما ورد في هذه المقالة انّ الملك النصرانيّ الذي خلف ذا نوّاس على نجران هو «كالب» له نقود ماسمهِ بين مسكوكات اليمن القديمة ومثلها ايضاً للذين خلفوهُ

أسئلة وأجوبة

س سأل حضرة الخوري يوسف العشيق ما هي المؤلفات التي تبحث من حقوق الاولاد الأبكار
حقوق الاولاد الابكار

ج لا نعرف كتاباً خاصاً يوضع حقوق البكارة الّا انّ في كتب الشرع والحق القانوني الشرقيّ والغربيّ والدستور العثماني والمجلّة وكتب المواريث فصولاً في ذلك. وهذه الحقوق تختلف في كلّ دولة كما اختلفت في غاير الازمنة والامكنة

س وسأل من بتلو حضرة الخوري ف . ش . ١ عن أطلق اسم البروتستانت على تبعة لوتاروس . ٢ هل يعمّ هذا الاسم كلّ الشيع . ٣ هل هو مثبت من التاريخ انّ لوتاروس قبل وفاته استدعى كاهناً كاثوليكياً فرفض مشايعوه اجابة طلبه
البروتستانت . اسمهم وزعيمهم

ج نجيب على (الاوّل والثاني) انّ اسم البروتستانت ومعناهُ المحتجّون دلّ اوّلاً على أنصار لوتاروس الذين احتجّوا على الامبراطور شرلكان وعلى الكنيسة الكاثوليكيّة سنة ١٥٢٩ . ثمّ أطلق بعد ذلك في فرنسة على تبعة كلوينوس وما لبث ان عمّ جميع شيع البروتستانت مع تعدّد آرائهم واختلاف نزعاتهم وربّما اتّخذوا اسم المصلحين وذوي الاصلاح (الموهوم) . ومن البروتستانت من لا يرضى حالاً بهذا الاسم . نجيب على (الثالث) انّ ما يقال عن استدعاء لوتاروس لكاهن كاثوليكيّ عند وفاته ليس بصحيح وانّما هذا يُروَى عن ڤولتير الذي في مرضه الاخير طلب كاهناً كما كان طلبهُ في مرض سابق الّا انّ اصحابهُ في هذه الدفعة لم يسمحوا للكاهن بالدخول عليه

س وسأل الاديب ش . م من نبو يدفرد ماس في الولايات المتحدة : ١ هل يجمع الاعتراف بواسطة التلفون في حالة الضرورة . ٢ هل يستطيع من أكل قبل نصف الليل بقليل ان يتناول القربان في اي ساعة كانت بعد منتصف الليل
اسئلة طقسيّة

ج نجيب على (الاوّل) انّ المرجّح انّ الاعتراف بالتلفون لا يجوز حتّى في حالة الضرورة ما لم يتحقّق الكاهن ان المريض المدنف على الموت يكلّمهُ رأساً . ولكن يستطيع الكاهن ان يحرّض المريض على ان يصدر فعل الندامة الكاملة فينال بها الغفران عن خطاياه . نجيب على الثاني انّ المناولة مسموح بها بعد نصف الليل ولو أكل المتقرب قبل نصف الليل بزمن قليل .

ل . ش

قداسة الحبر الاعظم

بيوس الحادي عشر

بمناسبة ترقيته الى السدّة البطرسية

في ٦ شباط ١٩٢٢

امام الاحبار

قداسة البابا بيوس الحادي عشر

نظر تاريخي في حياة الحبر الاعظم الجديد

لحضرة الاب ليوبلد فنك اليسوعي احد اساتذة معهد الدروس الكتابية في رومية

توطئة

يحقُّ لنا أن نفتتح هذه النبذة الوجيزة بآية اشعيا النبيّ (٤٢ : ١—٣) اذ قال مبشّرًا بالسيّد المسيح : « هوذا عبدي الذي اخترتهُ فتاي الذي سُرَّت بهِ نفسي قد جعلتُ رُوحي عليهِ فهو يُبدي الحكم للأُمم » . ذاكَ لعمري كلام ينطبق على رئيس الكنيسة الذي يختارهُ الربّ لينوب عنهُ على الارض ويحيي في شخصهِ روح سيّدهِ .

بيد انَّ لله في اختيار عبيدهِ عموماً عنايةً خاصّة ليعدَّهم الى مباشرة ما ينتدبهم اليهِ . وهذا اصحّ في الذين يريدهم لتدبير كنيستهِ ألا ترى الذين رعوها في عهد قريب منّا فكانوا متَّصفين بمزايا توافق زمانهم ايَّ موافقة . فهذا بيوس التاسع كان في وجه الثورة الايطاليَّة كالصخرة الصمّاء غلبوهُ على ملكهِ لكنهُ غلبهم بثباتهِ وشهامتهِ .

وهذا لاون الثالث عشر جعل الكنيسة كنار تستضيء به جميع الدول وتسترشد بنوره. وهذا بيوس العاشر صرف همّهُ في توطيد دعائم الكنيسة بازاء الاضاليل العصرية ونفخ فيها روحاً جديدة. وهذا بندكتوس الخامس عشر ضبط سكّان السفينة البطرسيّة في وقت هيجان الشعوب وانقلاب احوال الدنيا فكان ربّاناً حكيماً نجّاها من الانواء. بل استحقّ ان يُدعى كيوسف بن يعقوب « مخلّص العالم ». فلا بدع انّ الله في اختيار عبده بيوس الحادي عشر غايةً اهلًا بجلاله لشفاء ادواء العالم وإنعاشه من كبوته وتأليف القلوب بين الدول المتحاربة. وكأن ارباب الامور شعروا بدعوته هذه فتوسّموا به الخير واستبشروا اجمالًا بانتخابه حتّى اشدّهم نفوراً من البابويّة كايطالية وتركيّة واليونان

فبياناً لما قدّمناه نحن نعرّف اوّلًا شخص المختار ثم طريقة انتخابه ونختم بذكر اعماله الاولى

١ شخص المختار

الولد والدارس

يُدعى المصطفى من الله «اشيل راتّي» وهو بالغ الخامسة والستّين من عمره. رأى النور في بلدة دازيو من توابع ميلانو في سلخ ايار سنة ١٨٥٧ وهو الثالث من ابنا. والديه الستّة الذين انتقلوا الى ربّهم ما خلا اخاهُ البكر واختهُ الصغرى وكلاهما حيّ يُرزق. وكانت عائلتهُ من اوساط القوم واهل تُقى الله يتعاطى ابوهُ تربية القزّ. وقد احسن والدا اشيل تربية ابنهما ولذلك لم يبرح من قلبه حبُّهما ولاسيّما والدتهُ المسنّة فانّهُ برّها وخدمها الى وفاتها بكل تفانٍ

درس المبادئ في وطنه على الكاهن يوسف فولْنتياري ثم انتقل الى مدرستي مار بطرس الشهيد وموتزا الاكليريكيّتين. وكان يقضي أيام العطلة المدرسيّة في الصيف عند عمّه رئيس الكهنة داميانو راتّي فالتقى عندهُ برئيس اساقفة ميلانو السيّد لويجي دي كالابيانا الذي عرف ما خصّهُ الله به من الذكاء. وتوقّد الذهن وجودة التُقى وحسن الطباع فاحبّهُ وقبلهُ في مدرسته الاكليريكيّة العليا فانعكف مدّة ثلث سنوات على الدروس الدينيّة فنال بها اقرانهُ وأدّى به نجاحهُ الى ان يرسلهُ رؤساؤهُ الى المدرسة اللُمبردية في رومية ليستقي من مناهلها العلوم الكهنوتيّة على كبار اساتذة

الجامعة الغريغورية التي تديرها الرهبانية اليسوعية. فانجز هناك دروسهُ ونال فيها قصبة السباق في الفلسفة واللاهوت والفقه الكنسي فخرج منها موسوماً بميزة الملفنة بعد ان رُقّي الى رتبة الكهنوت في ٢٠ ايلول السنة ١٨٧٩

وكان رفيقهُ في الملفنة والكهنوت الشاب الذكيّ اسكندر نوّالدي الجالس اليوم على كرسي رؤساء الساقفة باثرمة في صقلية. فاحبَّ الحبر الاعظم ان يستقبلهما في بلاط القاتيكان فتشرَّفا بالمثول امامهُ ونالا بركتهُ. ثمَّ اجابا دعوتهُ بان استعدَّا لامتحان خاصّ يؤهلهما للانتظام في اكادمية القديس توما التي انشأها قداستهُ فنجحا في الامتحان المطلوب وكانا اوَّل من حظي بذلك الامتياز

المعلّم وراقي جبال الألب

عاد الكاهن راقي الى وطنهِ ميلانو سنة ١٨٨٢ فوُكّل اليه الرؤساء خدمة النفوس ثمَّ دعوهُ بعد قليل الى التعليم في مدرسة ميلانو الاكليريكيَّة التي كان تخرَّج فيها سابقاً فعلَّم الخطابة الكنسيَّة تلامذة اللاهوت وكان يلقي المحاضرات الادبيَّة كلّ اسبوع على كافَّة الطلبة فيتهافتون جميعاً على استماعهِ لذلاقة لسانهِ وبلاغة كلامهِ وهم لا يزالون يذكرون حتَّى اليوم ما استفادوهُ من ابحاثهِ البيانيَّة ويشهدون لهُ بطول باعهِ في فنون الخطابة

وكان الاب راقي مولعاً بمشاهد الطبيعة يقطع في أيام الراحة المسافات البعيدة ليمتّع بصرهُ بما اودعهُ الله من المحاسن في انحاء وطنهِ. وكان يطلب في ذلك ايضاً ترويض جسمهِ لعلمهِ بان الانسان الكامل نفسٌ سليمة في جسم سليم. وذلك ما حدا بهِ ان ينتظم في سلك جمعيَّة من المترقين في جبال الألب الشاهقة التي تحجز بين ايطالية وسويسرة. ولتلك الجمعيَّة نظامات وقوانين تراعيها. وكان الاب راقي في أيام الصيف وبعد اتعاب الدروس يجدّد قواه المنهوكة بالصعود الى مشارف الالب. فكان بصبرهِ على التعب وثباتهِ في السير ورباطة جأشهِ في توقّل اعلى قمم تلك الاطواد يدهش رفاقهُ حتَّى انهُ بلغ سنة ١٨٨٩ ذروة جبل روز المعروفة باسم دوفور ناهجاً طريقاً لم يسلكها قبلهُ احد. وكان يتجشَّم الاخطار بين مزالق الجليد والثلوج الغرّاء والصخور الشاهقة وكان اذا عاد الى ميلانو روى في المجلّات تفاصيل رحلتهِ وملحوظاتهِ العلميَّة وما اتيحَ في سبيلهِ من المصاعب ليقف عليها غيرهُ. وممَّا اخبرهُ

انهُ ضلَّ يوماً طريقهُ فبات ليلةً تامَّة على رأس جبل يعلو ٤٣٠٠ متر فوق سطح البحر يقاسي مع رفيقهِ آلام البرد القارس . وسقط دليلهُ مرَّة أخرى في حفرة عميقة فخاطر الاب راتي بحياتهِ وخلَّصهُ بعد الجهد الجهيد . وكأنهُ بصعودهِ الى مشارف الجبل الابيض وجبل سرڤين وجبل روزكان يرمز الى معالي اشرف وأسمى رقَّاه الله اليها في هذه الأيام

خمس سنوات قضاها الكاهن راتي في التعليم احرز لهُ فيها فخرًا عظيماً وربح شكر تلاميذه إجمالًا ودلَّ على براعتهِ في تلقين العلوم البيانيَّة وايضاح مشاكلها المويصة مترشحاً بها لتعليم الكنيسة الجامعة . وكانت دروسهُ الخاصَّة زادتهُ رغبةً في توسيع نطاق معارفهِ فما لبث ان ادرك جلَّ بغيتهِ

ناظر المكتبة الامبروسيَّة ورئيسها

في مدينة ميلانو مكتبة شهيرة تُدعى بالمكتبة الامبروسيَّة نسبةً الى القديس امبروسيوس ملفان الكنيسة انشأها سنة ١٦٠٩ الكردينال فردريك بروروماوس ابن اخي الكردينال السامي البراعة والنجيب المآثر القديس شرل بوروماوس رئيس اساقفة ميلانو . فهذه المكتبة تُعَدُّ اليوم من اغنى مكاتب اوربَّة بوفرة مطبوعاتها النادرة ومخطوطاتها القديمة الغربيَّة والشرقيَّة البالغة خمسمائة الف كتاب بينَّف يقوم بخدمتها اكبر العلماء من اكليروس ابرشيَّة ميلانو المتَّصفين بميزة الملافنة . ففي ٥ تشرين الثاني توفي احد نظار تلك المكتبة الكاهن فرتوناتو ڤيلا العالم باللغة العربيَّة فرشَّح الكاهن اشيل راتي نفسهُ ليخلفهُ في مهنتهِ رجاء ان يتمتَّع بتلك الكنوز العلميَّة في ساعات الفراغ . فلبَّت اللجنة المشكَّلة لخدمة المكتبة الى ملتمس الطالب بعد امتحانات معاومة اعرب فيها عن مقدرةٍ عجيبة

فحدِّث ولا حرج بفرح الناظر الجديد اذ دخل ذاك المعهد الجليل وشرع يستقري جواهرهُ العلميَّة . وكان اذ ذاك رئيس المكتبة احد مشاهير العلماء الكاهن انطون تشريلي صاحب التآليف المعتبرة فاتَّخذهُ مرشدًا وإماماً في تنقيبهِ عن دفائن العلوم ودررها المكنونة . فما عتَّم أن احاط علماً بمحتويات المكتبة حتى اصبح خير دليل لمن كان يقصدها من العلماء فيقوم بخدمتهم ويُفيدهم طاقة جهدهِ عن كلّ ما يطالبونهُ بهِ بخصوص مضامينها

وكان اذا فرغ من شغله مع الوفود انكبَّ على المطالعة وانقطع الى الكتابة والتأليف. واوّل ما باشر بتصنيفهِ تنظيم المكتبة الامبروسيَّة ووَصْف محتوياتها على الطريقة المستحدثة الجارية في المكاتب الاوربيَّة الكبرى فكان في ذلك احسن مُساعد للاب تشرياني فانجزا عملهما وبهِ وفَّرا التفتيش المملّ على القادمين الى المكتبة

ثمَّ تخصَّص الكاهن راتّي بالعلوم التاريخيَّة ونشر منها عدداً لا يُخصَى بينها التآليف الكبرى كأعمال كنيسة ميلانو وطقوسها في عدَّة مجلَّدات وكآثر بعض الاحبار الرومانيين واساقفة ميلانو ومشاهير علماء ايطالية. ولهُ في المجلَّات الايطاليَّة العلميَّة والدينيَّة مقالات شهريَّة واسبوعيَّة تبلغ المئات عدداً كان العلماء يعوّلون عليها في ابحاثهم ويقرُّون بفضل كاتبها

ولمَّا استأثر الله بالاب تشرياني السابق ذكرهُ سنة ١٩٠٧ أجمع الكلّ على تعيين الاب راتّي كخلفهِ في رئاسة المكتبة الامبروسيَّة. فكان خيرَ خلفٍ لهُ في تلك المهنة الشريفة. فزاد اهتمامهُ بالمكتبة وتوسيع معاهدها وما يَلحق بها من المتاحف والمجموعات الفنيَّة حتَّى استحقَّ ثناء كلّ الوافدين الى ميلانو لدرس آثارها العلميَّة

ومما يُذكر لهُ بالشكر ايضاً في عهد رئاستهِ على المكتبة الامبروسيَّة انَّهُ سعى بتحصيل مخطوطات قديمة تُردان بها خدمة العلوم ولاسيَّما المخطوطات الشرقيَّة واخصّها العربيَّة التي اقتنى منها ١٨٠٠ مجلَّد تحتوي على نحو ٦٠٠٠ كتاب بين صغير وكبير الى بها بعض السيَّاح من انحاء اليمن وسمى بوصفها السنيور غريفيني

خادم النفوس

بقي الكاهن راتّي ٢٢ سنة في المكتبة الامبروسية بين الدفاتر والمحابر وخدمة الزوَّار والدارسين. على انَّهُ في تلك المدَّة الطويلة لم تبرح من ذهنهِ فرائضهُ الكهنوتيَّة وخدمة النفوس. وكان مذ رجع بعد دروسهِ الى وطنهِ انضمَّ الى جماعة من الكهنة يُعرَفون بتطوّعي القديس شرل بروروماوس يأخذون على نفسهم الطاعة العمياء لاستفهم ليختارهم لأشقّ الخدَم وأصعبها فيكونوا طوع بنانهِ في كلّ ما يأمرهم بهِ او يرغبهُ دون امرٍ صريح. فكان رئيس اساقفة ميلانو الكردينال فرَّاري يثني على غيرة الاب راتّي وسرعة تلبيتهِ لاوامرهِ في كلّ ما يعرضهُ عليهِ من اعمال الكهنوت

ومما شكرتهُ لهُ الراهبات الفرنسويَّات المعروفات براهبات السيناكل (عليَّة صهيون) انَّهُ رضي ان يكون خادم ديرهنَّ ومدير اعمالهنَّ فاصبح ديرهنَّ بهمَّته مركزاً معتبراً

لكل اعمال الخير والرياضات الروحية في كلّ ادوار السنة . وكثيراً ما كان يلقي المواعظ في كنائس ميلانو ولاسيما كنيسة القديس يوسف والجالية الالمانية والسويسرية

وكان الاب راتي يخدم النفوس بدون مراعاة للوجوه لا يفرق بين الصغير والكبير وبين الفقير والامير بل كان يؤثر خدمة المهملين والصغار . فمن ذلك انه كان يجمع كلّ يوم احد أحداث الفقراء من السابوديين المشتغلين بتنظيف المداخن فيعلمهم التعليم المسيحي ويعدّهم لقبول الاسرار فكانوا يعتبرونه في غربتهم كابيهم

لا بل كان الاب راتي يأخذ على نفسه المدافعة عن حقوق المظلومين حتى بازاء الحكومة الايطالية كما فعل سنة ١٨٩٨ لما زجّ الشرط الآباء الكبوشيين في الحبس لتهمة باطلة اتّهموهم بها فدخل على حاكم المدينة بكل جرأة ولم يزل يحمي ذمار الرهبان ويبيّن براءتهم حتى اطلق الحاكم سراحهم

ناظر المكتبة الواتيكانية ورئيسها

وكان اسم الكاهن راتي تتناقلهُ الجرائد وتنتشر سمعتهُ في البلاد فلمّا كانت السنة ١٩١٠ طلب الاب فرنسوا إهرلي اليسوعي رئيس مكتبة الفاتيكان العظمى ان يُعطى لهُ مساعد لتقدُّمهِ بالعمر وشعورهِ بانحطاط قواهُ فخاف ان تُعرَّض الكتبة للضياع اذا اصابهُ موت او مرض فرأى بمشورتهِ السعيد الذكر البابا بيوس العاشر انَّ الكاهن راتي افضل من سواه لهذه المهمّة لسعة معارفهِ ومقدرتهِ الادارية فاستدعاهُ الى رومية فكان خير معين لناظر المكتبة الفاتيكانية ثمَّ خلفهُ في رئاستها سنة ١٩١٤ بعد استعفاء الاب إهرلي الموما اليهِ اذ تحقّقت آمالهُ بمُعينهِ

غنيّ عن البيان انَّ منصباً كهذا كان من شأنهِ ان يستنفد قوى صاحبهِ بيد انَّ الاب راتي قام بأعبائهِ احسن قيام فقدَّر العلماء قدرهُ واختبروا طول باعهِ في ادارة تلك المكتبة الواسعة التي يقصدها الالوف من الاختصاصيين . ولسرعت الجمعيّات العلميّة وعرضت عليهِ الانتظام في عداد اعضائها . فكان من انشط مراسليها حتى كاد ينوء تحت اعباء مراسلاتهِ لولا انَّ الحرب خفّفت عنهُ الشغل نوعاً لصعوبة المواصلات بين البلاد فقلّ عدد العلماء القادمين الى رومية لاجتناء فوائد مكتبتها الفريدة . فامكنهُ ان يواصل تاليفهُ وكتاباتهِ فألّفت اليهِ نظر البابا بندكتوس الخامس عشر الذي اتّخذهُ كسمير فوجد في آرائهِ السديدة وفكّ المشاكل العديدة في زمن الحرب الكونية خير مشير

السفير الى بولونية

ولم تكن الحرب وضعت بعدُ اوزارَها اذ استخرج الحبر الاعظم تلك الدرّة من صدفتها في ٢٥ نيسان سنة ١٩١٨ واعتمدهُ في امور دولته البابويّة وارسلهُ الى بلاد بولونية وما جاورها من الأقطار المنفصلة عن روسية بصفة زائر رسولي لتدبير امورها الدينيّة . وكانت المانية لا تزال باسطةً حكمها على بولونية فسأحسن الاب راتي في تصرُّفهِ وابدى عن فطنةٍ غريبة حتّى اكتسب ثقة الجميع فكان الاساقفة والاهلون يستقبلونهُ عموماً بفرح جزيل ويرضخون بكل طيب خاطر لِما يعرضهُ عليهم من التدابير . فزار معظم البلاد وأطلع الكرسي الرسولي على سائر احوالها وحجّ الى معبد السيّدة البتول الشهيرة في بولونية بسيّدة كزنستوشوڤا

وفي تلك الاثناء أعلن المتحاربون بالهدنة واستقلّت بولونية بامورها فرقّاهُ الحبر الاعظم الى رتبة قاصد رسولي في الدولة الجديدة وتقدَّم الى رئيس اساقفة وَرْسو (ڤرسوڤية) الكردينال كاكشكي بان يسيمهُ رئيس اساقفة على ليانت شرفاً . فتمّت الحفلة في ٢٨ تشرين الاوّل من السنة ١٩١٩ وكان سبق فقدَّم لرئيس الجمهوريّة السيّد پيلسودسكي اوراق سفارتهِ في ١٩ تموز

على انَّ الجيوش البولشڤيّة كانت واقفةً لبولونية بالمرصاد فزحفت على عاصمتها وكادت تستولي عليها فاخذ الجميع اهبتهم للفرار من وجه اولئك الاشرار لعلمهم بشراستهم وهمجيّة اخلاقهم . امّا السيّد راتي فأبى الّا ان يثبت في مركزهِ قائلاً لن يخفّهُ على الرحيل : انّي لا ابرح مكاني مهما تهدّدني من الاخطار وقد قدّمت لله حياتي فلتكن مشيئتهُ . فكانت شهامتهُ هذه تنشيطاً للحكومة التي استعانت بنصائحهِ وفازت بذاك العدوّ الاحمر . وبذلك زادت ثقة الجميع بالمقاصد الرسوليّ فلم يدّخر وسعاً في تنظيم تلك الدولة المستحدثة على المبادئ الكاثوليكيّة لتحيي ماضيها الشريف . واجتهد خصوصاً في انشاء كليّة جامعة كاثوليكية في عاصمة الدولة . ومن مساعيهِ المشكورة لدى عصبة الامم واللجنات المقامة منها ان تُعاد سيلزيا العليا لبولونية لثبوت حقوقها عليها . ولمّا طلب الحبر الاعظم مساعدة الدول لاسعاف المنكوبين ويتامى الحرب والاحداث المتضرّرين بالمجاعة امتاز البولونيّون بسخائهم مع ضنك احوالهم فجمع القاصد السيد راتي عدّة ملايين من الفرنكات لهذه الغاية

الكردينال ورئيس اساقفة ميلانو

وفي تلك الاثناء فقدت مدينة ميلانو رئيس اساقفتها القديس الكردينال فرّاري الجليل الذكر والعديد المآثر. فكان اوّل ما فكّر الميلانيّون والحبر الاعظم في السيّد اشيل راتّي ليقوم برعاية تلك الحاضرة فيخلف السيّد فرّاري الذي كان يعدّهُ من اعزّ كهنتهِ مدّة ٢٠ عاماً فتمّ فكرُهم فعلًا وفي ١٣ حزيران سنة ١٩٢١ عهد اليهِ بندكتوس الخامس عشر تدبير كنيسة القديس امبروسيوس ونظمهُ في سلك الكرادلة من رتبة الكهنة بالوكالة على كنيسة القديسين ساوستروس ومارتينوس دي مُنتي معدّدًا في مجمع الكرادلة صفاتهِ وخدمهُ المتعدّدة في سبيل الدين والعلم

عاد نيافة الكردينال راتّي الى ميلانو بعد أن اعتزل بضعة ايّام في دير جبل كاسين لمناجاتهِ تعالى في رياضة روحيّة. فعمّ الفرح قلوب اهلها عموماً حتّى ارباب الحكومة الايطاليّة واركان جنودها فتناصروا في حسن استقبالهِ وزيّنوا المدينة في دخولهِ فكان يوماً مشهودًا احاطت الرعيّة كلها براعيها المحبوب واعربت شفاهاً وبلسان الصحائف عن عواطفها لرئيسها الجديد فاجاب الكردينال مطرنًا في خطابهِ سجايا الميلانيين الطيّبة وتشبّثهم الدائم بالسدّة البطرسيّة الجالس عليها امامٌ اسرَ بمحبّتهِ قلوب المسكونة وعزّز الكنيسة في اعين كافّة الدول

وبعد أيام قليلة في اواسط شهر آب اراد الكردينال ان يستمطر نعم العذراء على ابرشيّتهِ فسار في مقدّمة فئة من الكاثوليك الايطاليين الى زيارة سيّدة لورد في مقامها الشهير في فرنسة فخرج لملاقاتهِ لسقف ترب ولورد السيد شوبفر فتبادلا ارق عبارات الولاء والاكرام. ولا شكّ انّ البتول افاضت على عبدها اسبغ بركاتها وأعدّتهُ لما كان ينتظرهُ من المنصب السامي

وفي اوائل الخريف صار تدشين اوّل كليّة جامعة كاثوليكيّة في ايطالية سعى بتشييدها الكردينال فرّاري في ميلانو فأحب الحبر الاعظم ان يرئس الكردينال راتّي تلك الحفلة البهجة باسمهِ كممثل قداسته. فزادت بتوليتهِ عظمةً وبهاء وكان في جملة الحضور حاكم المدينة وحاشيتهُ ببزّهم الرسميّة

وفي الاشهر القليلة التي بقي فيها رئيساً على كنيسة ميلانو أتى عدّة اعمال مجيدة حقّقت آمال ابنائهِ في شخصهِ الكريم كالقائهِ المواعظ في الآحاد والاعياد وتنظيمهِ

لمدارس الشعب والتعليم الديني فيها وكتوسيعه للشركات الخيرية التي وجد له في اهل ابرشيته خير مساعدين على تنميتها ورقيها . ولم تنقصه في تلك المدة الاوسمة والامتيازات الدولية نخص منها بالذكر وسامي بولونية النسر الاسود ثم النسر الابيض

٢ الانتخاب البابوي

لما انتقل السعيد الذكر البابا بندكتوس الى جوار ربه في العشر الثالث من كانون الثاني المنصرم لم يَدُر في خلد معظم المتوسمين في الكرادلة انتخابهم للخلافة البطرسية انّ كرديناً حديث العهد كرئيس اساقفة ميلانو يُقدَّم على شيوخ الكرادلة . غير انّ افكار الله غير افكار البشر . وكأنّ مرؤوسيه الميلانيين شعروا بأنهُ سيكون مختار الربّ فتجمهروا ورافقوهُ الى المحطّة عند سفره الى رومية . وكذلك اهل بولونية الذين عرفوهُ حقّ المعرفة توقّعوا انتخابهُ فما خاب ظنّهم

ولمّا نال الكردينال راتي معظم اصوات المنتخبين اعني ثلثيها على الاقلّ اجمعوا كلّهم دون استثناء انّ المختار هو احق واجدر بهذا الشرف السامي ورأوا في سوابق حياته كعالم نحرير وكراعٍ حكيم ومدبّر خبير يجمع بين الحزم واللين وبين الفطنة والاقدام ما يضمن لهُ حسن رئاسة الكنيسة جمعاء مع معرفته بلغات كثيرة واختباره لأحوال الدول التي كان تتقلّد عواصمها كباريس وفينّة ولندرة

ويضاف الى هذه الصفات انّ البابا الجديد وسيمُ المنظر كبير القامة ذو هيبة ووقار تلوح على جبهته سمات العزّ والسؤدد مع رقّة طباع . وزد على ذلك بنيتهُ القويّة وضحّتهُ الدائمة وجلَدهُ على الشغل ما يحملنا على الظنّ بطول رئاسته حفظهُ الله

وكان انتخابهُ في منتصف يوم الاثنين ٢ شباط بحضور ٥٣ كردينالاً والاحياء منهم اليوم ستّون فغاب ثلثة لعجزهم ومرضهم وتأخر اربعة كرادلة اميركة فوصلوا بعد الانتخاب الذي صار افتتاحهُ في الخميس السابق فدامت المناولات والجلسات مدّة اربعة ايام وتمّ كلّ شيء على موجب القوانين المقرّرة لذلك وليست هذه المدّة بكثيرة لما يتوقّف على حسن الانتخاب من الخطورة وعظم المسئولية

وكان الشعب يجتمع كل يوم في ساحة كنيسة مار بطرس الوقاً مؤلفة بلغ عددهم الى مائة الف بتيقّن ينتظر اشارة معلومة بشعلة اوراق التصويت لا يعقبها دخان . فما عاينوا ذلك الّا ارتفعت اصوات الفرح الى عنان السماء وبعد نصف ساعة انفتحت

النافذة المؤدّية الى الطنف الخارجي الذي يعلو فوق كنيسة مار بطرس المطلّ على الساحة المذكورة فخرج منها حاجبان اعلنا بشخص المنتخب ونثرا على الحضور اوراقاً عليها اسمهُ ونشرا من عَلْ شعارهُ الخاصّ وفرشا بساطاً . فما لبث ان خرج الحبر الاعظم بالثياب البابويّة البيضاء يتقدّمهُ الصليب المقدّس حاملاً لهُ اقدم الكرادلة الشمامسة وذلك لاوّل مرّة منذ عهد بيوس التاسع احتجاجاً على الدولة الايطاليّة فمنح البركة الرسوليّة للمدينة وللعالم اجمع من الخارج بدلاً من داخل الكنيسة

فليس قلمٌ يستطيع وصف ما غلب على الحضور من السرور لدى رؤيتهم نائب المسيح فظلّوا ساعةً يصرخون: فليحيَ بيوس الحادي عشر ! فليحيَ حبرُنا الاعظم! . وكانت هناك كتيبة من الجند الايطالي فقدّمت للبابا التحيّة العسكريّة ودقّ نفيرهم . وكلّ ذلك على غير سبق من جهة الحكومة . وكلّ هذه التظاهرات قد جرت في يوم مطير دون ان يكترث لذلك اولئك الجموع

امّا ما جرى للحبر الاعظم من الاكرام وتقدمة الخضوع من سائر الكرادلة فذلك ممّا وصفتهُ سابقاً مجلّة الشرق (٦ [١٩٠٣] : ٧٢٧—٧٣٩) لا حاجة الى اعادته . وانّا نقول انّ الدُّول كلّها تقبّلت نبأ اختيار بيوس الحادي عشر بكل ارتياح وتسارعت الى إرسال برقيّات التهاني الى مقامه . وكان سبق ملك اسبانية فوكل الى وزير اساقفة سراقسطة الكردينال سلدفايلا اي روميرو بأن يتقدّم لقدامته اوّل تحيّات الملوك باسمه وباسم كلّ الشعب الاسباني ففعل فوراً . وكان لفعله تأثير عظيم في كلّ الحضور

وما عمّ السرّاء ان اجتمعوا في الفاتيكان فقدّموا للحبر الروماني مرسلي التهنئة باسمهم وباسم دولهم وكان المتقدّم بينهم سفير اسبانية يتكلّم باسم الجميع وهم يمثلون ٣٢ دولةً

ولمّا كان اليوم الثاني عشر من الشهر تمّت حفلة تتويج البابا في كنيسة مار بطرس بحضور جميع الكرادلة والسرّاء والاعيان وعدد لا يُحصى من الشعب الروماني والغرباء برُتب دينيّة وطقوس فخيمة تأخذ بمجامع القلوب وتفوق على كل المشاهد العالميّة . وكان المكلّف بتتويج الحبر الاعظم الكردينال بيلو اليسوعي الفرنساوي . وختم الحبر الاعظم هذه الحفلات بعد ان حملهُ الحرس الشرفي على المنصّة البابويّة بمنحه ثانية البركة الرسوليّة من جناح كنيسة مار بطرس الخارجي لسائر الحضور وللعالم اجمع

٣ صار الحبر الاعظم الاولى

لا نتّسع في هذا الامر ونحن الآن في فاتحة خلافة الحبر الاعظم وانّما نجد في بعض اعماله ما ينبئ عن افكاره وعن استعداده لتدبير الامور

فمن ذلك اختياره لاسم بيوس وقد بيّن سببه بقوله لرصيفه في الدروس الكردينال نوالدي «اني قد وُلدتُ على عهد بيوس (التاسع) وتوظّفت في رومية على بيوس آخر (العاشر) ثمّ ان اسم بيوس اسم سلام فسأدعى ايضاً بيوس» ولعلّهُ وجد ايضاً في الذين سبقوهُ قديماً بهذا الاسم ما حبّبهُ اليه . كبيوس الرابع الذي كان مثلهُ من ميلانو وهو من سلالة المديشيين الشهيرة . وكبيوس الخامس القديس الذي انقذ ايطالية من الاتراك . وبيوس السابع الذي اعاد للبابويّة رونقها بعد نابوليون الاوّل

ومنها شعارهُ البابوي المثبّل في قسمهِ الاعلى نسرًا ذا رأسين اشارةً الى سفارتهِ في بولونية وفي القسم الاسفل ثلث كُرات مشيرًا بها الى اسمهِ راتي الذي يدلّ على السرعة والنشاط في العمل وتحت الشعار هاتان الكلمتان (raptim transit) اي يسير مسرعاً

ومنها انّهُ ابطل عادة اسلافهِ الثلثة بخروجهِ الى الشعب في اعلى ساحة كنيسة مار بطرس لتعمّ بركتهُ رومية والعالم اجمع ومعلناً بذلك انّهُ مستعدٌّ ان يصالح حكومة ايطالية التي أشعرت بتقرّبها الى الكرسيّ الرسولي ولإعلانها نيّتها بتحرير خطّتها مع رئيس الكنيسة

ومنها اخيرًا انّهُ اثبت في منصبهِ كوزير دولتهِ نيافة الكردينال غَسْپاري مع نيافة مأموريهِ منبئاً بذلك انهُ يريد ان يجري على آثار سلفهِ في سياستهِ السلميّة مع العالم باجمعهِ ليكون هو رائد السلام بين الشعوب في هذه الازمنة الحرجة . فما لنا الّا ان نردّد مع الكنيسة صلاتها الى الله لاجل رئيسها «فليحفظهُ الربّ ويعدّهُ بالقوّة والنعمة ويسعده في الارض ولا يسمح بان تقوى عليهِ يَد اعدائهِ» (١)

---

(١) كانت هذه المقالة ماثلة للطبع اذ وردت علينا نبذة أخرى حسنة من قلم احد دكاترة المكتبة الامبروسيّة في ميلانو ممّن عرفوا الحبر الاعظم وقدّروا اعمالهُ وهو حضرة الكاهن جوان غَلْبياتي (G. Galbiati) ملفان اللاهوت والفلسفة والآداب . فكنّا وددنا ان ننشرها لولا تأخرها عن النبذة السابقة فاكتفينا بالاشارة شاكرين لحضرتهِ